آداب طالب الحديث
والمنهج العلمي في تلقّيه

سيد عبد الماجد الغَوْري[1]

المقدمة:

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسوله الأمين محمَّد بن عبد الله خاتم الأنبياء وأفضل الْمُرسَلين، وعلى آله الْخِيَرَة، وأصحابه الْبَرَرَة، ومَن تَبِعَهم بإحسانٍ لهم ودعا بدعوتهم إلى يوم الدِّين.

أما بعد: فإنَّ التَّحلّي بالأدب والأخلاق في كل شأنٍ من شؤون الحياةِ أمرٌ من لُباب الشريعةِ ومقاصدها الرفيعة، لقد كان رسولُنا المصطفى ﷺ على ذِرْوَةٍ منهما، فكانت سيرتُه تمامَ مكارم الأخلاق، وكريمَ الشِّيَمِ حتى أشادَ به الله ﷻ قائلاً في محكم تنْزيله: ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، كما أكَّد – عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ – نفسُه بأنَّ من مهام بعثتِه تتميمُ مكارمِ الأخلاق، فقال: «إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأخْلاَقِ»[2]، فعلَّم ﷺ أُمّتَه أدبَ دينِهم ودُنياهم، فأحسن تعليمَهم، وتأديبَهم وأتَمَّ.

فلَمّا كان للأدب – والأخلاق – هذه المنْزلةُ العظيمة والأهميةُ الكبيرة في ديننا حتى أنه كان أحدَ أسبابِ بعثة النبيِّ ﷺ؛ فلا ينبغي أن يَسبِقهما العلمُ، بل ينبغي أن يكونا – العلم والأدب – كفَرَسَي رِهانٍ، وكُلَّما ازداد الطالبُ عِلماً ازداد معه أدباً وخُلُقاً. فلذلك أَوْلَى أئمةُ الحديثِ عنايتَهم بالأدب في وقت مبكّر جداً، حيث أفردوا ما جاء فيه من الأحاديث النبوية في مصنَّفاتهم تارةً باسم "كتاب الأدب"، وأخرى باسم "أبواب الأدب"، (مثل الإمام البخاري في جامعه الصحيح المسنَد، والإمام مسلم في صحيحه، وغيرهما من أصحاب السننِ)، كما أنَّ

---

[1] الباحث في معهد دراسات الحديث النبوي (إنماد)، والمحاضر في قسم الكتاب والسنة، كلية أصول الدين، الكلية الجامعية الإسلامية العالمية بسلانجور (ماليزيا).

[2] أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب: حُسْن الخلق، برقم: (٢٧٣)، عن أبي هريرة ﷺ، وهو حديث صحيح.

مِنهم مَن أفرد تلك الأحاديث بالتصنيف المستقلّ مثل الإمام البخاري، الذي صَنَّف كتاباً سَمّاه "الأدب المفرد"، الذي يُعتبَر أوّلَ وأجَلَّ كتابٍ جَمَع طائفةً كبيرةً ونخبةً مختارةً من الأحاديث والآثار في الآداب والأخلاق النبوية.

ثم تنبَّه مَن بعدهم مِن علماء الحديث إلى أهمية التزام الطالبِ بالآداب الحسنة والأخلاق الكريمة قبل وُلوجه إلى طلب الحديث النبوي، فعُنوا ببيان تلك الآداب في كتبهم التي أفردوها بذلك، مثل: القاضي أبي محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خَلاَّد الرَّامَهُرْمُزِيّ (ت٣٦٠هـ) في كتابه: "المحدِّث الفاصل بين الرّاوي والواعي"، والحافظِ أبي بكر أحمد بن عليّ الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) في كتابه "الجامع لأخلاق الرَّاوي وآداب السَّامع"، والقاضي عياض بن موسى بن عياض اليَحْصُبِيّ السَّبْتِي (ت٥٤٤هـ) في كتابه "الإلماع إلى معرفة أصول الرِّواية وتقييد السَّماع"، فذكروا – رحمهم الله تعالى – في هذه الكتب ما ينبغي للمحدِّث وطالبِ الحديث أن يتحلَّيا به من الآداب والواجبات التي تقتضيها صنعةُ التحديث، إلى جانب الكثير من أخبار حُفّاظ الحديث وآرائهم في بعض أبحاثه، وأقوالِ العلماء في بيان أحوال الرِّجال في تحمُّلِ الأَلاَقي في طلب الحديث ...

كما جرت عادةُ مَن صنَّف مِن العلماء في علوم الحديث قديماً وحديثاً أن يَذكُروا في كتبهم نبذةً من تلك الآداب التي ينبغي أن يتحلَّى بها المحدِّثُ والطالبُ، لكنهم قدَّموا فيها آدابَ المحدِّث على آداب الطالب، وكان الأَوْلَى أن يبدؤوا بآداب الطالب قبل المحدِّث؛ وذلك أنَّ هذا الطالبَ بعد حينٍ من الزَّمن سيصير مُحدِّثاً، فكان الأَوْلَى أن يُعْنَوْا به أولاً بتعليمه الآدابَ التي يجب أن يتحلَّى بها عند طلبه لعلوم الحديث؛ لأنه إذا تعلَّم الطالبُ الأدبَ حين طلبه، كان تحلِّيه به عند تصدُّره للتحديث أَوْلَى.

على كلٍّ ... فقد أجاد هؤلاء المحدِّثون بكتاباتهم ومؤلَّفاتهم في هذا الموضوع، حتى أغنوا فيه عن المزيد، و"كلُّ الصَّيْد في جَوْف الفَرَاء" كما قيل، وجزاهم الله عن ذلك خير الجزاء، إلاَّ أنني لاحظتُ أمرَين في تلك الكتب:

أولهما: أنَّ الكتب التي اعتنت ببيان آداب طالبِ الحديث، فإنَّ معظمها يتعلَّق بالرِّواية والتحمُّل، والتي قد لا يستفيد منها الطالبُ كثيراً في هذا العصرِ إذ عصرُ الرِّواية قد انتهى، ثم ما تَذكُره تلك الكتبُ من الآداب فهي تكون – عادةً – فوق طاقة الطالبِ حتى يَلتزِم بها، فكانت

الحاجةُ إلى استخراج بعض أهمِّ الآداب من بطون تلك الكتب، والإضافة إليها البعضَ ما يُوافِق مقتضياتِ العصرِ ومتطلّباته، حتى يَشعُر الطلابُ بأنَّ المخاطَبين في ذلك هم أنفسُهم لا أصحاب القرون الغابرة، فيَسهَل عليهم التحلّي بتلك الآداب قبل الخوض في دراسة الحديث النبوي وعلومه.

والثاني: أنَّ الكتب التي اعتنت ببيان تلك الآداب، فإنها لم تَعْتَنِ فيها كثيراً بإرشاد الطالب[1] إلى اتِّباع منهجٍ علميٍّ في حُصول هذا العِلم، ليتّخذه طريقةً جادَّةً في سبيل ذلك، ويَهتدي إلى قراءة الكتب النافعة له، مع أنَّ الأمر في غايةٍ من الأهمية؛ لأنَّ ما يَدرُسه الطالبُ مِن كُتُب هذا العلم ضِمن كتب المقرَّرات الأخرى فإنها لا شكَّ مفيدة ولا غِنًى له عنها البَتَّة، ولكن مَن سَمَتْ همته إلى التوسُّع والتعمُّق في هذا العلمِ – الذي تَهرِع له النفوسُ وتَحفِد، لِمَا انتشر في عصرنا من حُبّ اتّباع السُّنّة النبوية، والجِدِّ في طلبها[2] – فهو يحتاج إلى دليلٍ يُرشِده إلى اتِّخاذ منهجٍ علميٍّ ليتدرَّج عليه في قراءة ومطالعة الكتب المفيدة في هذا العلم، فهو غيرُ مذكورٍ في تلك الكتب كما ينبغي.

وهذا ما حداني إلى إعداد هذا البحثِ المتواضع لأذكر فيه بعضَ الآداب المهمة التي ينبغي أن يتحلّى بها طالبُ الحديث، وحرصتُ على تكون تلك الآدابُ وفق روح العصر ومتطلّباته، كما سعيتُ في آخر البحث إلى اقتراح منهجٍ علميٍّ يتدرِّج عليه الطالبُ في طلب هذا العلم، وذلك في ضوء ما أفاد به أو قرَّره علماءُ الحديث المتخصِّصين.

وبناءً على ذلك قسّمتُ محتويات البحث إلى ثلاثة مباحث، وافتتحتُ أوّلَها بذكر ما جاء من الأحاديث والآثار في فضل طلبِ علم الحديث النبوي، وذكرتُ في الثاني آدابَ طالبِ الحديث، واقترحتُ في الثالث منهجاً علمياً للطالب ليتدرَّج به على طلب علم الحديث.

---

[1] ولعلَّ ذلك في نظرهم لعدم حاجة الطالب إلى ذلك لا سيما في العصور التي أَلِّفوا فيها تلك الكتبَ، والله أعلم.

[2] كما قال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد في مقدمة تهذيبه لـ"الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" للحافظ الخطيب البغدادي، انظره في "المجموعة العلمية"، ص٢٠٩.

المبحث الأول: فضل طلب علم الحديث النبوي:

إنَّ الاشتغال بعلم الحديث النبوي دراسةً وتدريساً، تأليفاً وتصنيفاً، مِن أقرب القُرُبات إلى الله ﷻ، وأمثلِ الأعمال لبُلوغ الدَّرجات العليّات، فمَن سَعَى في طلبه، وأكَبَّ على خدمته؛ نالَ الشَّرَفَ العظيم، والجزاءَ الجزيل، وفازَ بسعادةِ الدَّارَيْن؛ لأنه أشرَفُ العلوم وأعلاها بعد القرآن الكريم؛ لأن الرَّسول ﷺ كَلَّفه اللهُ ﷻ بشرح وتفسيرِ كتابه، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل:٤٤]، فكان بيانُه – عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ – وحياً من عند الله ﷻ، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣، ٤].

لذلك يُعتبَر الحديثُ النبويّ شارحاً لكتاب الله تعالى ومفسِّراً له، وأصلاً من أصول الدين، يلي كتابَ الله ﷻ الذي هو أصلُ الأصول، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [النساء:٥٩].

ولأجل ذلك عُنيت الأمةُ الإسلامية برواية الحديث النبوي وحفظِه ونشرِه لكونه المصدرَ الثاني للتشريع، ولكونه مِرآةً صادقةً لحياة الرسول ﷺ من ميلاده حتى وفاته، فحفظُ حديثِه – عليه الصَّلاة والسَّلام – مثلُ حفظِ كتابِ الله تعالى، ودينه، لذلك وَرَدَتْ نصوصٌ كثيرةٌ في فضلِ مَن يتعلَّم الحديثَ ويعلِّمه، ويَحفَظه ويَذُبُّ عنه، ومنها:

١) ما رواه زَيْدُ بن ثابتٍ ﷺ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيْثاً فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَه»[١]. فكَفَى راوي الحديثِ فضلاً دخولُه في دعوة الرَّسول ﷺ هذه.

وقال الإمامُ سفيان بن عُيَيْنَة (ت١٩٨هـ) رحمه الله تعالى: "ليس مِن أهل الحديثِ أحدٌ إلاَّ وفي وجهه نَضْرَةٌ لهذا الحديثِ"[٢].

فأهلُ العلم الذين يبلِّغون الناسَ شَرْعَ اللهِ تعالى هم أنضَرُ النَّاسِ وُجوهاً، وأشرَفُهم مقاماً، بدعاء رسول الله ﷺ لهم.

٢) ومنها ما رواه أُسَامَةُ بن زَيْد ﷺ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «يَحْمِلُ هذا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ

---

[١] أخرجه الترمذي في الجامع، أبواب: العلم، باب: ما جاء في الحث على تبليغ السماع، برقم (٢٦٥٦)، وقال: "حديث حسن"..

[٢] انظر: "شرف أصحاب الحديث" للخطيب البغدادي، ص٣٥.

عُدُوْلُهُ، يَنْفُوْنَ عَنْهُ تَحْرِيْفَ الْغَالِيْنَ، وانْتِحَالَ الْمُبْطِلِيْنَ، وَتَأْوِيْلَ الْجَاهِلِيْنَ»[١].

وفي هذا الحديثِ تخصيصُ حَمَلَةِ السُّنَّةِ بهذه الْمَنْقَبَة العُليا، وتعظيمٌ لهذه الأُمَّةِ المحمَّدية، وبيانٌ لجلالة قَدْرِ المحدِّثين، وعُلُوِّ مرتبتِهم في العالَمَيْن؛ لأنهم يَحْمَون مَشارِعَ الشَّريعةِ، ومُتُوْنَ الرِّواياتِ من تحريف الغالين، وتأويلِ الجاهلين، بنقل النُّصوص الْمُحْكَمَة لرَدِّ الْمُتشابهِ إليها[٢].

٣) ومنها ما رواه ثَوْبان ﷺ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِيْ ظاهِرِيْنَ عَلَى الْحَقِّ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ »[٣].

وقال العلماءُ: إنَّ المراد بـ"الطائفة" في هذا الحديث: أصحاب الحديثِ أنفسهم[٤]، كما أكَّد على ذلك الإمامُ أحمد بن حَنْبَل (ت٢٤١هـ) – رحمه الله تعالى – فقال: "إنْ لَمْ يَكونُوا أصحاب الحديثِ فلا أدري مَنْ هُم!"[٥].

فقد صَدَقوا رحمهم الله تعالى، وأيُّ طائفةٍ أحَقُّ بأن يكونوا هم تلك الطائفة الظاهرة المنصورة، مِن الذين حَفِظُوا الدِّيْنَ، ونَقَلُوا الْمِلَّةَ، ونَشَرُوا السُّنَّةَ، وقَمَعُوا البِدْعَةَ؛ وهم أصحابُ حديثِ النبيِّ ﷺ، وحُرَّاسُه، أَهْدَى النَّاسِ بالسُّنَّةِ، وأَتْبَعُهم للأُسْوَة الحسنة، بَقِيَّةُ الأصحاب، ومِرْآةُ الرَّسول ﷺ!![٦].

٤) ومنها ما رواه عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِيْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلاَةً»[٧].

وذَكَر أهلُ العِلم أنَّ أسعَدَ الناسِ بهذا الحديثِ هم الْمُحدِّثون أنفسُهم؛ لأنهم الذين

---

[١] أخرجه الخطيب البغدادي في "شرف أصحاب الحديث" ص٥٣، والعلائي في "بغية الملتمس" ص٣٤، وحسَّنه بقوله: "هذا حديث حسن غريب صحيح".

[٢] قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث: للشيخ جمال الدين القاسمي، ص٤٦، ٤٧.

[٣] أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب: الإمارة، باب: قوله ﷺ "لا تزال طائفة من أمتي..."، برقم (١٩٢٠).

[٤] شرف أصحاب الحديث: للخطيب البغدادي، ص٢٦، برقم (٤٦).

[٥] المصدر السابق: ص٢٧، برقم (٤٨).

[٦] نصائح منهجية لطالب علم السنة النبوية: للشيخ حاتم بن عارف العوني، ص١٩، ٢٠، بتصرف واختصار.

[٧] أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب: الصلاة، باب: في فضل الصلاة على النبي ﷺ، برقم (٤٨٤)، وابن حبان في صحيحه، (١٩٢/٣)، برقم (٩١١)، وهو حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، قاله الترمذي.

يُكثِرون مِن الصَّلاة على النبيِّ ﷺ أثناء قراءتهم وسماعهم للأحاديث، كما قال الإمامُ ابنُ حِبَّان البُسْتي (ت٣٥٤هـ) – رحمه الله تعالى – بعد إخراجه هذا الحديثَ في صحيحه: "في هذا الخبرِ دليلٌ على أنَّ أولَى النَّاسِ برسوله ﷺ، في القِيامة يكون أصحابُ الحديثِ، إذْ ليس مِن هذه الأُمَّةِ قومٌ أكثَرَ صلاةٍ عليه ﷺ مِنهم"[١].

وفي ذلك قال الحافظُ أبو نُعَيْم الأصبهانيّ (ت٤٣٠هـ) رحمه الله تعالى: "هذه مَنْقَبَةٌ شريفةٌ يَخْتَصُّ بها رواةُ الآثارِ ونَقَلَتُها؛ لأنه لا يُعرَف لعِصابةٍ من العُلماء من الصَّلاة على رسول الله ﷺ أكثر مِمَّا يُعرَف لهذه العِصابة نَسْخاً وذِكْراً"[٢].

فمِمّا وَرَد في تلك الأحاديث النبوية، فيه دلالةٌ صريحةٌ على ما لطالب الحديثِ النبويّ، وللمشتغل به دراسةً وتدريساً، تأليفاً وبحثاً، من فضلٍ عظيمٍ، وشرفٍ كبيرٍ، حتى قِيل فيه: إنه مِن أنضر الناسِ وجوهاً، وأشرفهم مقاماً، وأكثرهم سعادةً، وما ذلك إلا بسبب طلبه للحديث النبوي واشتغاله به، لذلك فقد جَعَل الإمامُ النَّوَوِي (ت٦٧٦هـ) – رحمه الله تعالى –[٣] علمَ الحديث النبوي من أهمِّ أنواع العلومِ وأنفسِها وأعظمِها طلباً، ومن أجَلِّ الطَّاعات، ومن آكدِ العبادات لله تعالى، وكذلك جَعَل الإمامُ ابن الأَثِيْر الْجَزَري (ت٦٠٦هـ) – رحمه الله تعالى –[٤] طلبَ هذا العلمِ من فروض الكفايات.

وأخبارُ جِدّ الأسلاف في طلب هذا العلمِ، وصَبْرِهم عليه مضربُ الأمثال، ومُثَارُ الإعجاب، فقد أنفقوا – رحمهم الله تعالى – في حصوله النَّفْسَ والنَّفيس، وسَهِرُوا لأجله اللَّيالي، وجعلوا طلبَه دَيْدَنَهم حتى الموت، كما يتبيَّن لنا ذلك من أقوالهم التالية:

قِيل للإمام عبد الله بن المبارَك (ت١٨١هـ): إلى كم تَكتُب الحديثَ؟ قال: "لعلَّ الكلمةَ التي أَنتفِع بها لم أسمعها بَعْدُ"[٥].

وحين سُئل – رحمه الله تعالى – عن مدى طلبه للحديث فقال: "ما أَرانِي أَدَعُه حتّى

---

[١] صحيح ابن حبان: (١٩٢/٣)، رقم (٩١١).

[٢] شرف أصحاب الحديث: للخطيب البغدادي، ص٣٥، رقم (٦٣).

[٣] في مقدمة كتابه "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج" (١١٣/١).

[٤] في مقدمة كتابه "جامع الأصول من أحاديث الرسول ﷺ" لابن الأثير الجزري: (١٢/١، ١٣).

[٥] شرف أصحاب الحديث: للخطيب البغدادي، ص٦٧، رقم (١٤٣).

أموت"[١].

وقِيل للإمام أحمد بن حَنْبَل (ت٢٤١هـ) رحمه الله تعالى: إلى متى يَكتُب الرجلُ الحديثَ؟ قال: "حتى الموت"[٢].

وهكذا كانت عِنايَتُهم – رحمهم الله تعالى – بالحديث النبوي، وجِدُّهم في طلبه حتى أنهم جعلوه غايةَ حياتِهم، ومطمحَ أنظارِهم، وكان لهم في ذلك هُيَامٌ وغَرَامٌ لم يُعرَفا عن أُمَّةٍ من الأُمَم في التاريخ.

المبحث الثاني: آداب طالب الحديث:

لقد توجَّهت همة المحدِّثين إلى العناية بطالب الحديث النبوي منذ الصِّغَر، إعداداً وتهذيباً وتأديباً، وصَقْلاً لنفسه ومواهبه، فتناول الإعدادُ روحَه وعقلَه؛ لأنّ في ذلك تَكامُلاً لشخصيته، واعتدالَ مزاجِه، وتصفيةَ روحِه وأخذها بمعالي الأمور، والترفُّع عن سَفْسافها[٣]، ولذلك فإنهم قرنوا طلبَ الحديثِ بآداب وأخلاق يجب على طالبه أن يتحلَّى بها ويُلازِمها، والتي تجعله أكملَ الناسِ آداباً وخُلُقاً، فبيَّنوا للطالب آداباً ينبغي له مراعاتها في طلب هذا العلم الجليل، وهذه الآدابُ سأذكرها في هذا المبحث، الذي يشتمل على مطلبَين، أولهما في تعريف "الأدب" لغةً واصطلاحاً، والثاني في بيان الآداب المشار إليها آنفاً.

المطلب الأول: "الأدب" في اللغة والاصطلاح:

(أ) في اللغة:

"الأَدَبُ" اسمٌ مأخوذٌ من مادة "أَدَبَ يَأْدِبُ أَدْباً، من باب "ضَرَب"، وهو يَدُلّ على معنى تجميع الناس إلى الطعام. و"الآدِبُ" هو الداعي لذلك، ومن هذا القياس أيضاً "الأدبُ"؛ لأنه مُجمَعٌ على استحسانه.

وقال ابن منظور (ت٧١١هـ): "سُمِّي أدباً؛ لأنه يَأدِب الناسَ إلى الْمَحامِد، ويَنْهاهم عن الْمَقابِح"، ثم قال: "وأصلُ الأدبِ الدعاءُ، ومنه قيل للصَّنيع يُدعَى إليه الناس: مَدْعاةٌ ومَأْدُبَةٌ"[٤].

---

[١] تقدمة الجرح والتعديل: لابن أبي حاتم الرازي، ص ٢٨٥

[٢] شرف أصحاب الحديث: للخطيب البغدادي، ص٦٨، برقم (١٤٥).

[٣] من أدب المحدِّثين في التربية والتعليم: للدكتور أحمد محمد نور سيف، ص٢٣.

[٤] لسان العرب: لابن منظور: (٢٠٦/١).

ثانياً: في الاصطلاح:

قال الْجُرْجانِيّ (ت٨١٦هـ): الأدبُ "هو عبارةٌ عن معرفة ما يُحترَز به عن جميع أنواع الخطأ"[١].

وقال الْمُناوِيّ (ت١٠٣١هـ): "الأدبُ: رياضةُ النفوسِ، ومَحاسِنُ الأخلاقِ، ويقع على كل رياضةٍ محمودةٍ يتخرَّج بها الإنسانُ في فضيلةٍ من الفضائل"[٢].

وقال الكَفَوِيّ (ت١٠٩٤هـ): "هو الأخذُ بمكارم الأخلاق، وبعبارةٍ أخرى: الوقوف مع الْمُستحسَنات"[٣].

فهذا ما وَرَد في تعريفاتهم لـ"الأدب" خلاصتها أنَّ المراد به: حُسْن الأخلاقِ والصِّفات الحميدة.

أما "الأدبُ" عند أهل الحديث فهم يعنون به: الصفات الحميدة والأخلاق الحسنة، التي ينبغي لطالب الحديث النبوي أن يَتَحَلَّى بها، وهي تُبَيِّنُ له طريقةَ الاتِّباع في حصول هذا العِلمِ، الذي يُعَدُّ أعلى العلومِ قَدْراً، وأرفعَها منْزلةً، وأشرفَها غايةً وقَصْداً، فيَجبُ مَن يَطلُب هذا العِلمَ أن يكون "أكْمَلَ الناسِ أدباً، وأشَدَّهم تَواضُعاً، وأعظمَهم نزاهةً وتَدَيُّناً، وأقلَّهم طَيْشاً وغَضباً لدوام قَرْعِ أسماعه بالأخبار المشتملة على محاسن أخلاق رسول الله ﷺ وآدابه"[٤]، وسيرةِ السَّلَف الأخيار مِن أهل بيته وأصحابه، ثم من علماء أمته من الحفاظ والمحدِّثين وغيرهم.

المطلب الثاني: آداب طالب الحديث:

لقد اجتهد المحدِّثون في جمع بعض الآداب التي رأوا أنه يُستَحبّ لطالب الحديث النبوي أن يتحلَّى بها؛ ذلك لأهمية هذا العلمِ وشرفِه، فهي آدابٌ هامّةٌ على طالب الحديث، تُبَيِّن له كيف يَنهَج في تحصيل هذا العِلم المبارك، فها هي بعضُ أهمِّ تلك الآداب أقدِّمها في هذا المطلب، نقلاً مما ذكروه في كتبهم، مع إضافتي إليها بعضَ الآداب التي تَمُسّ حاجةُ الطُلاّب في هذا العصر أن يَلتزِموا بها في طلب الحديث النبوي.

---

[١] التعريفات: للجرجاني، ص٢٩.

[٢] التوقيف على مهمات التعاريف: للمناوي، ص٤٢.

[٣] الكليات: للكفوي، ص٦٨.

[٤] بتصرف يسير من مقدمة الحافظ الخطيب البغدادي لكتابه "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع"، (٧٨/١).

١ – الإخلاصُ لله تعالى:

المرادُ بـ"الإخلاص": تَرْكُ الْمَرْءِ الرِّياءَ في طاعات الله ﷻ وحده، والقيام بها خالصةً له ﷻ، بحيث لا يُرِيد بها تعظيماً من النَّاس ولا توقيراً[١].

فالإخلاصُ لله تعالى في العبادة أو العَمَل شَرْطٌ مِن شروط قَبُوْلِهما عنده، فإنَّ الله ﷻ لا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إلاَّ مَا كانَ خَالِصاً لِوَجْهِهِ الْكَرِيْمِ.

فيَجبُ على المسلمِ أن يُخلِص نِيَّتَه لله تعالى في جميع أعمالِه، وأن يُصَحِّحَها من وقتٍ لآخر؛ لأنَّ مَدار قَبولِ أعمالِه، والإثابةِ عليها في الدَّار الآخرة متوقِّفٌ على إخلاص النِّيَّةِ لله تعالى، كما جاء في الحديثِ المشهورِ الذي رواه عُمَر بن الخطَّاب ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «إنَّما الأعْمَالُ بالنِّيَّاتِ، وإنَّما لِامْرِئٍ ما نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلَى الله وَرَسُوْلِهِ؛ فَهِجْرَتُهُ إلَى الله ورَسُوْلِه. وَمَنْ كانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيْبُهَا، أَوْ امْرَأَةً يَنْكِحُهُا؛ فَهِجْرَتُهُ إلَى مَا هَاجَرَ إلَيْهِ»[٢].

وهذا الحديثُ أصلٌ عظيمٌ في الدِّين، وموضوعُه الإخلاص في العمل، وبيانُ اشتراط النِّيَّةِ وأثرُ ذلك، وبهذ الحديثِ صَدَّر الإمامُ البخاري (ت٢٥٦هـ) – رحمه الله تعالى – كتابَه "الجامع الصحيح المسنَد"، وأقامه مقامَ المقدِّمةِ له إشارةً إلى: أنَّ كُلَّ عَمَلٍ لا يُراد به وجهُ الله فهو باطِلٌ لا ثمرةَ له في الدُّنيا والآخرة.

وكذلك "العِلمُ"؛ فإنَّه إذا فَقَد إخلاصَ النِّيَّةِ؛ انْتَقَلَ مِن أفضل الطَّاعات إلى أحَطِّ المخالفات، ولا شيءَ يُحَطِّمُ العِلمَ مثل: الرِّياء.

لذلك فقد ذمَّ علماء الحديث مَن يَطلُب العلمَ دُوْن إخلاصٍ، فقال الحافظُ الذهبي (ت٧٤٨هـ) رحمه الله تعالى: "مَن طَلَب العلمَ للعمل؛ كَسَره العلمُ، وبَكَى على نفسه. ومَن طَلَب العلمَ للمَدارس، والإفتاء، والفخرِ، والرِّياء؛ تَحامَـــقَ، واخْتالَ، وازْدَرَى بالناس، وأهلكه العُجْبُ، ومَقَتَتْه الأَنْفُسُ، ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ٩، ١٠]، أي: دَسَّسها بالفُجور والمعصية"[٣].

---

[١] انظر: "كتاب التعريفات" للجرجاني، ص٢٨.

[٢] أخرجه البخاري في الصحيح، في أول كتاب الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، برقم: (١).

[٣] سير أعلام النبلاء: للذهبي: (١٨/١٩٢).

فعلى الطالب أن يتخلَّص أولاً من كُلِّ ما يَشُوْبُ نيَّتَه في صِدْق الطَّلب، كحُبِّ الظُّهور مِن خلال اشتغاله بهذا العِلم، وجعلِه وسيلةً له لنيل المال، أو الجاهِ، أو السُّمْعَةِ. فإنَّ هذه وأمثالُها إذا شَابَتْ النِّيَّةَ؛ أفسدتْها، وذَهَبَتْ بركةُ العِلم؛ لذلك يَتَعَيَّنُ على الطالب أنْ:

١) يَحمِي نِيَّتَه من شَوْبِ الإرادةِ لغير الله ﷻ، ولا يرجو من وراء طلبِه هذا العِلمَ الجليلَ سِوَى وجهِ الله تعالى والجنَّة.

٢) ويُصلِحَ نفسَه ويُهَذِّبها بهذا العِلم المبارك.

٣) ويَعْمَلَ جاهداً على المحافظة على سُنَّة رسولِ الله ﷺ؛ وذلك بتعليمها للنَّاس ونشرِها فيهم.

٤) ويَتَجنَّبَ التَّكالُبَ على الدنيا وأعراضِها الزائلة، وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً، مِمَّا يُبْتَغَى به وَجْهُ اللهِ تعالى، لا يَتَعَلَّمُهُ إلاَّ لِيُصِيْبَ عَرَضاً مِن الدُّنْيا؛ لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّة[1] يَوْمَ القِيَامَةِ»[2].

٥) ولا يَطلُب هذا العلمَ الشريفَ لِمِراءٍ أو رِياءٍ، وقال النبيُّ ﷺ: «لاَ تَعَلَّمُوْا العِلْمَ لِتُبَاهُوْا بِهِ العُلَمَاءَ، أَوْ لِتُمَارُوْا بِهِ السُّفَهَاءَ، ولاَ تَخَيَّرُوْا بِهِ الْمَجَالِسَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ فِي النَّارِ»[3].

٦) ويَسْأَلَ اللهَ التَّيْسِيْرَ والتَّوفيقَ فيما يَطلُبه.

٢ – حفظُ القرآن الكريم:

إنّ "القرآن الكريم" المصدرُ الأوّلُ للتشريع الإسلامي، ومنبعُ العلوم والمعارف الإسلامية، ودستورُ حياة المسلمين؛ فينبغي أن يكون اعتناءُ الطالبِ بالقرآن قراءةً وحِفظاً وتدبُّراً قبل إقباله على دراسة الحديث النبوي الشريف؛ ليَربِط بينه وبين السُّنَّةِ المطهَّرة التي هي مصدرُ ثانٍ للتشريع، لقد حثَّ على ذلك السَّلَف من أئمة الحديث، وها هي أقوالهم في ذلك:

١) قال الصحابي الجليل حُذَيْفَة بن اليَمَان ﷺ: حَدَّثنا رسولُ الله ﷺ حديثَين، رأيتُ أحدهما، وأنا أنتظر الآخرَ، حدَّثنا: «أنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوْبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوْا مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوْا من السُّنَّةِ...»[4].

---

[1] عَرْفُ الجنة: أي: رِيحُها.

[2] أخرجه أبو داود في السنن، عن أبي هريرة ﷺ، في كتاب العلم، باب في طلب العلم لغير الله، برقم: (٣٦٦٤)، وهو حديث صحيح. (انظر "الترغيب والترهيب" للمنذري: ١/١٥٣).

[3] أخرجه ابن ماجه في مقدمة السنن، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، برقم (٢٥٤) عن جابر بن عبد الله ﷺ، وهو حديث صحيح. (انظر "الترغيب والترهيب" للمنذري: ١/١٥٤).

[4] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الفتن، باب إذا بقي في حُثالة من الناس، برقم (٧٠٨٦).

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) – رحمه الله تعالى – في شرح هذا الحديث: "فيه إشارةٌ إلى أنهم كان يتعلَّمون القرآن قبل أن يَتَعَلَّمُوا السُّنَنَ"[١].

٢) وقال حافظُ المشرق الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) رحمه الله تعالى: "ينبغي للطالب أن يَبدَأ بحفظ كتاب الله ﷻ، إذْ كان أجَلَّ العلوم، وأولاها بالسَّبْق والتقديم"[٢].

٣) وقال حافظُ المغرب ابن عبد البَرّ القُرْطُبيّ (ت٤٦٣هـ) رحمه الله تعالى: "طلبُ العلمِ درجاتٌ ومناقلُ ورُتَبٌ لا ينبغي تَعَدِّيها، ومَن تَعَدَّاها جملةً فقد تَعَدَّى سبيلَ السَّلَفِ رحمهم الله، ومَن تَعَدَّى سبيلَهم عامِداً ضَلَّ، ومَن تَعَدَّاه مُجتهِداً زَلَّ. فأوّلُ العِلم: حفظُ كتابِ الله ﷻ وتفهُّمُه، وكلُّ ما يُعِين على فهمه فواجبٌ طلبُه معه، ولا أقول: إنَّ حِفظه كُلَّه فرضٌ، ولكن أقول: إنَّ ذلك شرطٌ لازِمٌ على مَن أحَبَّ أن يكون عالِماً فقيهاً ناصِباً نفسَه للعِلم؛ ليس من باب الفرض"[٣].

٤) وقال الإمامُ النَّوَوِي (ت٦٧٦هـ) رحمه الله تعالى: "أوَّلُ ما يَبتدِئ به [الطالبُ] حِفْظَ القرآنِ العزيز، فهو أهَمُّ العلومِ، وكان السَّلَفُ لا يُعَلِّمُون الحديثَ والفقهَ إلا لِمَن حَفِظَ القرآنَ الكريمَ"[٤].

فمِمّا جاء في أقوال هؤلاء مفادُه: أنَّ الطالب ينبغي له أن يُقَدِّم عنايتَه أولاً بالقرآن الكريم، تِلاوةً وتجويداً، حفظاً وفهماً، قبل عنايته بكل علمٍ من العلوم؛ لأنَّ القرآن بما يُحْتَجّ، فالذي ليس عنده حُجَّةٌ وبرهانٌ بالقرآن؛ يَركُن إلى الاحتجاج بمفاهيم أو آراء، وهذا خَطَرٌ عليه وعلى دينه، وإنما الْحُجَّةُ في الكتاب وفي السُّنّة، فإذَنْ لا بُدّ للطالب من حفظِ القرآن لتكون الْحُجّةُ قويّةً.

وعلى هذا كان سلفُنا الصالح، وهم القدوةُ في العلم والطلب، ما كانوا يأذنون لأبنائهم بالرحلة في الحديث حتى يَختِموا القرآن ويصلوا به، وأخبارُهم في ذلك كثيرة.

---

[١] فتح الباري: للحافظ ابن حجر: (١٦/٤٩).

[٢] الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: للحافظ الخطيب البغدادي: (١/١٠٦).

[٣] جامع بيان العلم وفضله: لابن عبد البر: (٢/٢٨٠).

[٤] انظر: مقدمة "المجموع" للإمام النووي، باب آداب المتعلم: (١/٦٤).

٣ – تَعَلُّمُ اللغةِ العربية وإتقانُها:

كذلك مِمّا يَجبُ على طالب الحديث قَبْل إقدامه على طلب هذا العلم: أن يَعْتَنِي كُلَّ الاعتناءِ بتعلُّم اللغةِ العربية ثم إتقانِها، وهي اللغةُ الَّتِي نَزَل بها القرآنُ الكريمُ، وتَكلَّم بها الرسولُ ﷺ، ولا يخفى على ذي لُبٍّ ما لهذه اللغةِ من أهميةٍ عظمى في ديننا؛ فالذي ليس لديه تأسيسٌ لهذه اللغةِ لا يستطيع تَلَقِّيَ أيِّ علمٍ من العلوم الشرعية فضلاً عن علم الحديث، يقول شيخُ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) رحمه الله تعالى: "مَعْرِفَةُ العربيَّةِ الَّتِي خُوطِبْنا بها مِمَّا يُعِين على أنْ نَفْقَهَ مُرَادَ اللَّهِ ورسولِه بكلامِه "[١].

وقال الإمامُ الشَّاطِبِيُّ (ت٧٩٠هـ) رحمه الله تعالى: "على النَّاظرِ في الشريعةِ، والمتكلِّمِ فيها أصولاً وفروعاً أمران؛ أحدهما: ألا يتكلَّمَ في شيءٍ من ذلك حتى يكون عربيّاً أو كالعربي؛ في كونه عارفاً بلسان العرب، بالغاً فيه مبالغَ العرب"[٢].

لذلك فقد وَرَد ذَمٌّ شديدٌ على لسان السَّلَف للذي يُقبِل على قراءة الحديث النبوي وهو غيرُ مُلِمٍّ بالعربية، وقال الإمامُ شُعْبَة بن الْحَجّاج (ت١٦٠هـ) رحمه الله تعالى: "مَن طَلَب الحديثَ فلم يُبصِر العربيةَ؛ فمثله مِثل رَجُلٍ عليه بُرْنُسٌ[٣]، وليس له رأسٌ"[٤].

وقال الإمامُ حَمّاد بن سَلَمَة (ت١٦٧هـ) رحمه الله تعالى: "مثلُ الذي يَطلُب الحديثَ ولا يَعرِف النَّحْوَ، مثل الحمارِ عليه مِخْلاةٌ[٥] لا شَعِيرَ فيها"[٦].

وذكر الأَصْمَعِيّ (ت٢١٦هـ) أهميةَ تعلُّمِ اللغةِ العربية وقواعدها بالنسبة لطالب الحديث النبوي أنه تَسلَم به لسانُه من اللَّحن والتصحيف، فقال: "إنَّ أخوف ما أخافُ على طالب العلم إذا لم يَعرِف النَّحْوَ: أن يَدخُل في جملة قوله ﷺ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[٧]؛ لأنه ﷺ لم يكن يَلحَن، فمهما رَوَيْتَ عنه، ولَحَنْتَ فيه كذبتَ عليه"[٨].

---

[١] مجموع الفتاوى: لابن تيمية: (١٠٢/٢).

[٢] الاعتصام: للإمام الشاطبي: (٣٦١/٣، ٣٦٢).

[٣] قلنسوة طويلة، وكان النُّسّاك يَلبسونها في صدر الإسلام. (انظر: "مختار الصحاح" للرَّازي).

[٤] الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: للحافظ الخطيب البغدادي: (٢٦/٢)، برقم (١٠٧٣).

[٥] هي ما يُجعَل فيه العلفُ ويُعلَّق في عُنق الدَّابة.

[٦] المصدر السابق: (٢٦/٢)، برقم (١٠٧٤).

[٧] أخرجه مسلم في مقدمة الصحيح، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ، برقم (٣)، عن أبي هريرة ﷺ.

[٨] الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع: للقاضي عياض، ص١٨٤.

كما يجب على الطالب أن يَحرِص على تجويد القراءة، فإنَّ "التجويد" مِن أكبر مَحَاسِن الكلام، ومن مُقْتَضَيات اللغةِ العربيةِ، فإنَّ العرب لم تَنطِق بكَلِمِها إلا مُجَوَّدَةً، وقال العلماءُ: "إنَّ قراءة الحديثِ مُجَوَّدَةً كتجويد القرآن مندوبةٌ"؛ لأنه من محاسن الكلام، ومن لغة العرب، ومن فصاحة المتكلِّم، وهذه المعانِي مجموعةٌ في النبيِّ ﷺ، فمَنْ تَكَلَّم بحديثه فعليه بمراعاة ما نَطَقَ به عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ[١].

٤ – التَّحَلِّي بِمَكارِمِ الأخلاق:

إنّ اتِّصاف الْمَرْءِ بمكارم الأخلاق محبوبٌ عند الله ﷻ، كما وَرَد في حديثٍ رواه سَهْلُ بن سَعْد الأنصاري ﷺ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إنَّ اللهَ كَرِيْمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الأَخْلاَقِ، وَيَكْرَهُ سَفَاسِفَهَا»[٢].

ولقد حَثَّ – عليه الصَّلاة والسَّلام – على الاتِّصاف بهذه الصفة الكريمة في حديثٍ آخر له، والذي روى عنه أبو ذَرٍّ الغِفَاري ﷺ قال: "قال لي رسولُ اللهِ ﷺ: «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» [٣].

فيجب على الطالب أن يتحلَّى بمكارم الأخلاق، ويتجنَّب سيِّئَها ورديئَها، قال الإمامُ أبو عاصم النَّبِيْل (ت٢١٢هـ) رحمه الله تعالى: "مَن طَلَب هذا الحديثَ[٤]؛ فقد طَلَب أعلى أمورِ الدِّينِ، فيَجِبُ أن يكون خَيْرَ النَّاسِ"[٥].

كما ينبغي له أن يَجعَل لِمَا يتعلَّم من الحديث النبوي واقِعاً عَمَلِيّاً في حياته الخاصَّة والعامَّة، وأن يُجاهِد نفسَه مِن أوَّل الطريق أوَّلاً بأوَّلٍ لِيُرَبِّيَ نفسَه على الالتزام بالإسلام التزاماً عملياً، حتى تُصبح قِيَمُ الإسلامِ وآدابُه جُزءاً لا يَتَجَزَّأُ من حياتِه.

---

[١] انظر: "قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث": للشيخ جمال الدين القاسمي، ص:٢٤٥.

[٢] أخرجه الحاكم في المستدرك، (١/١١١) برقم (١٥١)، وقال محقِّقه نقلاً عن العراقي: "إسناده صحيح".

[٣] أخرجه الترمذي في السنن، في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس، برقم (١٩٨٧)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح".

[٤] أي حديث النبي ﷺ.

[٥] علوم الحديث: لابن الصلاح، النوع الثامن والعشرون، ص٢٤٦.

٥ – التَّجَنُّبُ من الكِبْر والحياء والتَّحَلِّي بالتَّوَاضُع:

"الكِبْرُ" هو فيما يتعلَّق بعلاقة الإنسانِ بالآخرين أنه يَزدريهم أو يَحتقرِهم[١]، فقد قال النبيُّ ﷺ: «الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ»[٢]، وهو مِن أمراض القلب الخبيثة، قال الإمام ابن قَيِّم الْجَوْزِيّة (ت٧٥١هـ) رحمه الله تعالى: "الكِبْرُ أثرٌ من آثار العُجْبِ والبَغْي من قلبٍ قد امتلأ بالجهل والظُّلْم، تَرَحَّلَتْ منه العُبوديةُ، ونَزَل عليه الْمَقْتُ" [٣].

لقد ذَمَّ النبيُّ ﷺ صاحِبَ الكِبْرِ، فقال فيه: «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ فِيْ قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»[٤].

لذلك يجب على الطالب أن يتجنَّب الكِبْرَ، فإنَّه داءٌ خطيرٌ يَعُوقه عن تحصيل العِلم.

أمّا "الْحَيَاءُ" فهو انكسارٌ وتغيُّرٌ يَعْتَرِي الإنسانَ من تخوُّف ما يُعاب به أو يُذَمّ[٥]، وهي صفةٌ محمودةٌ كما قال النبي ﷺ: «الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ»[٦]، وفي حديث آخر: «الْحَيَاءُ لا يَأْتِيْ إلاَّ بِخَيْرٍ»[٧].

ولكن تُعَدّ هذه الصفةُ مذمومةً إذا كانت مانعةً للطالب من تزوُّده بالعِلم؛ لأنَّ الحياء قد يمنعه عن حصول الخير الكثير الذي يَحصُل له بالطلب والسؤال من أساتذته وشيوخه، لا سيما إذا اتَّفَقَ له ذلك مِمَّن كان دُونه في السِّنّ والنَّسَب والمكانة، لذلك قال الإمامُ وَكِيعُ بن الْجَرَّاح

---

[١] انظر: "موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم" للتهانوي، (١٣٥٨/٢).

[٢] أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، برقم (٩١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما.

[٣] الروح: لابن قيم الجوزية، ص٢٣٥.

[٤] أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، برقم (٩١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما.

[٥] انظر: "كتاب التعريفات" للجرجاني، ص١٢٦، و"موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم" للتهانوي، (٧٢١/١).

[٦] أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، برقم (٣٧)، عن عمران بن حصين ﷺ.

[٧] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الأدب، باب الحياء، برقم (٦١١٧)، ومسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، برقم (٣٧)، عن عمران بن حصين ﷺ.

(ت١٩٧هـ) رحمه الله تعالى: "لا يَنْبُلُ الرَّجُلُ مِن أصحاب الحديثِ حَتَّى يَكتُب عَمَّن هو فَوْقه، وعَمَّن هو مِثلُه، وعَمَّن هو دُوْنَه" [١].

وهذه هي سُنَّةُ المحدِّثين، فقد رَوَى الأكابِرُ – عِلْماً وسِنّاً – عن الأصاغر – عِلْماً وسِنّاً – و لم يكن ذلك قادحاً في الأكابر؛ بل عُدَّ مِن مناقبهم، فقد رَوَى الصحابةُ ﷺ عن بعضهم، كما رَوَوْا عن تابعِيْهم[٢].

أمَّا "التَّواضُعُ" فهو انكسارُ القلبِ للرَّبِّ جلَّ وعَلا، وخفضُ الجناحِ والذُّلِّ، والرحمةُ للعباد[٣]، وهو خُلُقٌ حَميدٌ، وجوهرٌ لطيفٌ، وهو من أخَصِّ خِصَال المؤمنين المتَّقين، ومن كريم سَجايا العاملين الصَّادقين، كما أنه مِن أبرز أخلاق نبيِّنا محمد ﷺ.

ووَرَدَتْ أحاديث كثيرة في الحثِّ على التحلِّي بهذه الصفة، ومنها ما رُوِيَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لا يَفْخَر أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»[٤]، فأفاد هذا الحديثُ بوجوب التَّواضُع وعدمِ التَّفاخُر، والاعتداءِ على الناس.

فينبغي أن يكون الطالبُ متحلِّياً بهذه الصفة الكريمة، ويكون خافِضاً جَنَاحَيْه لشُيوخِه وأساتذته الذين يَأخُذ عنهم العِلمَ حتَّى يَنتفِع بعلمهم.

٦ – مُلازَمةُ الشَّيخِ الْمُتقِن:

لا شكَّ أنّ الحصول على الشَّهادات العلمية مُهِمٌّ لطالب العلم، ولا غِنىً له عنه في العصر الحاضر، ولكن في الوقت نفسه لا بُدَّ له من الْمُلازَمة والْمُثافَنة[٥] لشيخٍ مُتقِنٍ أو أستاذٍ جامعيٍّ متخصِّصٍ يعتني به اعتناءً خاصّاً في إرشاده وتوجيهه له إلى الطَّريق الصحيح في طلب هذا العلم؛ لأنَّ "الأَصْلَ في الطَّلَب: أن يكون بطريق التَّلقين والتَّلَقِّي عن الأساتيذ، والْمُثافَنةِ

---

[١] علوم الحديث: لابن الصلاح، النوع الثامن والعشرون، ص ٢٤٩.

[٢] اقرأ ما ذكرتُه في ذلك في كتابي "الميسَّر في علم الرجال" في مبحث "معرفة المخضرمين"، ص١٠٢، ١٠٣، طبعة دار الشاكر بماليزيا.

[٣] انظر: "موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم" للتهانوي، (٧٢١/١).

[٤] أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يُعرَف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، برقم (٢٨٦٥)، عن عياض بن حمار ﷺ.

[٥] المثافنة: أي، الملازمة، يُقال: "فلانٌ ثافن فلاناً" أي: لازمه حتى عَرَف باطِن أمره. (انظر: "المعجم الوسيط"، ص١١٨). ص١١٨).

للأشياخ، والأَخْذِ من أفواه الرِّجال لا مِن الصُّحُف وبُطُونِ الكُتُب، والأوَّلُ من بابِ أخذ النَّسِيْبِ عن النَّسيب النَّاطِق، وهو: الْمُعلِّم. أمَّا الثاني عن الكتاب، فهو: جَمَادٌ، فأنَّى له اتِّصالُ النَّسَبِ؟"[١].

وقد قِيل: "مَن دَخَل في العِلم وَحْدَه؛ خَرَج وَحْدَه"[٢]؛ أي: مَن دَخَل في طلب العِلم بلا شيخٍ؛ خَرَج منه بلا عِلمٍ، إذ العِلمُ صَنْعَةٌ، وكلُّ صنعةٍ تَحتاج إلى صانعٍ، فلا بُدَّ إذاً لتَعَلُّمِها من مُعَلِّمِها الْحاذِق[٣].

وإذا أقبل الطالبُ على العلم دُوْن ملازمته لشيخٍ مُتقِنٍ أو أستاذٍ متخصِّصٍ فيؤثِّر ذلك في حياته تأثيراً سَيِّئاً، وتَنْتِجُ عن ذلك أمورٌ تاليةٌ:

١) افتقادُ عُنْصُرِ الاقتداء: الذي أكَّد عليه كُلُّ مِّن السَّلَف والخَلَف، وبالتالي سنَفتقِد في الطالب الذي لم يَأخُذ العلمَ عن أيِّ عالِمٍ، أخلاقَ العلماء، وفي ذلك يقول الإمامُ الشَّاطِبِيّ (ت٧٩٠هـ) رحمه الله تعالى: "أن يكون [الطالبُ] مِمَّن رَبَّاه الشُّيوخُ في ذلك العِلم، لأَخْذِه عنهم، ومُلازَمتِه لهم؛ فهو الجديرُ بأن يَتَّصِفَ بما اتَّصَفُوا به مِن ذلك، وهكذا كان شأنُ السَّلَفِ الصَّالِح"[٤].

٢) ضِيْقُ الأُفُق: وذلك لأنَّ الطالب سوف يَبْقَى في إطار ما دَرَسه في الصُّحُف أو الكُتُب، غافلاً عمّا يُمكِن أن يَرفَع مِن مُستَواه العلمي، سواء تعلَّق الأمرُ بالعلم الذي يَدرُسه ذاته، أو بأمورٍ أخرى، تكون الثقافةَ العامّةَ للطالب.

٣) التَّصحِيفُ[٥]: الذي يقع من الطالب بسبب أخذِه العلمَ من بُطون الصُّحُفِ أو الكُتُبِ دون دون الشُّيوخِ والأساتذة من ذوي الاختصاص[٦].

وهناك أمثلةٌ كثيرةٌ في الرُّوَاة، الذين وَقَع منهم التصحيفُ بسبب أخذِهم الحديثَ عن بُطون الصُّحُفِ والكُتُبِ، ومنهم عبدُ الله بنُ لَهِيْعَة، الذي روى حديثاً عن كتاب موسى بن عُقْبَة

---

[١] العبارة بين القوسين للشيخ بكر بن عبد الله أبي زيد، في كتابه "حلية طالب العلم"، ص:٣٠، ٣١.

[٢] انظر: "الجواهر والدرر" للسخاوي: (٥٨/١).

[٣] حلية طالب العلم: للشيخ بكر بن عبد الله أبي زيد، ص:٣١.

[٤] الموافقات: للشاطبي: (١٤٢/١، و١٤٤).

[٥] هو كتابةُ الكلمةِ أو قراءتُها على غير صِحّتها لاشتباهٍ في الحروف. (معجم المصطلحات الحديثية: للمؤلف، ص١٦٤).

[٦] النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى: للأستاذ المكي أَفلايَنَة، ص١٢٦، ١٣١، بتصرف واختصار.

إليه بإسناده عن زَيْد بن ثابتٍ ﷺ: "أنَّ رسول الله ﷺ احْتَجَمَ في المسجد"، قال الحافظُ ابن الصَّلاح (ت٦٤٣هـ): "إنما هو بالرَّاء"[١]، كما في الحديث: أنَّ النبي ﷺ "احْتَجَرَ في المسجد بِخُصٍّ أو حَصِيرٍ حُجْرَةً يُصَلِّي فيها"[٢]، فصَحَّفه ابنُ لَهِيْعَة بالميم لكونه أخذه من كتابٍ بغير سَماعٍ[٣]. لذلك حَذَّر الأئمةُ من أخذِ الحديث عمَّن هذا شأنُهم وقالوا: "لا يُؤخَذ الحديثُ من صَحَفِيٍّ"[٤]، أي لا يُؤخَذ عمَّن أَخَذه من الصُّحُفِ.

وفي ذلك نظَّم الشيخُ كمال الدين الشُّمُنِّي (ت٨٢١هـ) الأبيات التالية، قال فيها رحمه الله تعالى:

مَن يَأخُذ العِلْمَ عن شيخٍ مُشافَهةً ... يَكُنْ عن الزَّيْف والتَّصحيف في حَرَمِ
ومَن يَكُنْ آخِذاً للعِلْم عن صُحُف ... فعِلْمُه عند أهل العِلْمِ كالعَـدَمِ[٥]

فالحاصلُ أنَّ: العِلم – لا سيما الشَّرعي – لا يُؤخَذ ابتداءً من الكُتب، بل لا بُدَّ لطالبه من شيخٍ أو أستاذٍ يُتْقِنُ عليه مَفاتِيحَ الطِّلبِ؛ ليَأمَنَ – أي الطالبُ – من العَثَار والزَّلَلِ، وليكون تكوينُه تكويناً سليماً في العلم أو الفنّ الذي سيَدرُسه؛ ذلك أنَّ الشيخ – أو الأستاذ – يكون مُلِمّاً به، ومُحيطاً بدقائقه، وخبيراً بحلِّ مُعضلاتِه، كما أنَّ شخصيته العلمية والدينية تُؤثِّر في الطالب تأثيراً كبيراً على حياته.

٧ – احترامُ الشيخِ والأدب معه:

لقد دَرَج السَّلَفُ – رحمهم الله تعالى – على إجلال وتوقيرِ مَن أَخذُوا عنه العلمَ، ولقَّنوه لخَلَفهم، وطبَّقوه في تَعامُلهم وتصرُّفاتهم ليَحتذِي اللاَّحِقُ بالسَّابق، وليتأسَّى الطالبُ بشيوخه وأساتذته، في طُرُق تَعامُلِهم وتأدُّبهم في مجالس شيوخهم، وراعَوْا في ذلك آداباً مهمةً تَلِيْقُ

---

[١] علوم الحديث: لابن الصلاح، النوع الخامس والثلاثون، ص٢٨٠.

[٢] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله ﷻ، برقم (٦١١٣)، ومسلم في الصحيح، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة النافلة في بيته...، برقم (٧٨١)، عن زيد بن ثابت ﷺ.

[٣] معرفة أنواع علم الحديث: للحاكم أبي عبد الله النيسابوري، ص٤٤٩.

[٤] تيسير مصطلح الحديث: للدكتور محمود الطحان، ص١٤٧، وفي هذا المعنى قال الإمامُ الثقة سعيد بن عبد العزيز التَّنُوْخي (ت١٦٧هـ) رحمه الله تعالى: "لا تَحمِلوا العلمَ عن صَحَفِيٍّ، ولا تَأخُذوا القرآنَ عن مُصْحَفِيٍّ". (تصحيفات المحدِّثين: للعسكري، ٧/١).

[٥] الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: للحافظ السخاوي: (٣١٠/٤).

بمقامه ومنْزلته، فينبغي لطالب الحديث مُراعاتها بين يدي شيخِه أو أستاذِه، وتَحمُل تلك الآدابُ فيما يأتي:

١) أن يُحسِن مُخاطَبته للشيخ.

٢) وأن يَلتزِم الصَّمْتَ والسُّكونَ في مجلس الشيخ.

٣) وأن لا يَدخُل على الشيخ من غير استئذانٍ.

٤) وأن يُحسِن إنصاتَه واستماعَه للشيخ.

٥) وأن يَحذَر أشدَّ الحذرِ من أن يُداخِل الشيخَ أو يُقاطِعه في حديثه أثناء الدرس.

٦) وأن يتأدّب في السؤال مع الشيخ، ويُحسِن اختيارَ السؤال قبل توجيهه إلى الشيخ[١].

فهذا التعظيمُ والتشريف في أدب الشيوخ والأساتذة، مَرَدُّه الاعترافُ بفضل العالِم، وإحلالُه محلَّ اللائق به، كذلك هو من باب إجلال العِلم وأسباب الانتفاع به، وقد قال رسولُ الله ﷺ: «لَيْسَ مِنْ أُمَّتِيْ مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيْرَنَا، ويَرْحَمْ صَغِيْرَنَا، ويَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّه[٢]»، وإذا تَحلَّى الطالبُ بتلك الآداب ففي ذلك له – بإذن الله تعالى – عنوانُ النجاحِ والفلاحِ والتحصيلِ والتوفيقِ.

٨ – الحرصُ على لُزوم الطَّهارة في مَجالِس العِلم:

ومِن الآداب التي ينبغي أن يَلتزِم بها طالبُ الحديثِ أشدَّ الالتزامِ: أن يُلازِم الطَّهارةَ في مجالس الحديث النبوي، وقال الحافظُ قَتَادَة بن دِعَامَة السَّدُوْسِيِّ (ت١١٨هـ) رحمه الله تعالى: "لقد كان يُسْتَحَبُّ أنْ لا تُقرَأ الأحاديثُ التي عن النبيِّ ﷺ إلاَّ على طُهْرٍ"[٣]؛ لأنَّ هذه المجالسَ تَشْهَدُها الملائكةُ، كما جاءَ في حديث النبيِّ ﷺ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يَذْكُرُوْنَ اللهَ، إلاَّ حَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَغَشِيَتْهَمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِيْنَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيْمَنْ عِنْدَهُ»[٤].

---

[١] انظر: "تذكرة السامع والمتكلم" لابن جماعة: ص٨٩، ٩٩، و"من أدب المحدثين في التربية والتعليم" للدكتور أحمد نور سيف، ص٤٧، ٦٣، و"إلى طالب العلم" للباحث، ص٧١، ٨٣.

[٢] أخرجه الإمام أحمد في المسنده: (٤١٦/٣٧)، برقم (٢٢٧٥٥)، عن عبادة بن الصَّامت ﷺ، وقال محقِّقه الشيخ شعيب الأرناؤوط: "صحيح لغيره".

[٣] الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: للخطيب البغدادي (٣٠٠/١)، برقم (٦٤٨).

[٤] أخرجه الترمذي في الجامع، في أبواب الدعوات، باب ما جاء في القوم يجلسون فيذكرون الله ﷻ، برقم (٣٣٧٨)، عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما، وقال: "هذا حديث حسن صحيح".

فالملائكةُ تتأذَّى من الرَّوائح الكريهة التي يتأذَّى منها بنو آدم[١]، فحَرِيٌّ بمن يُواظِب على حضور هذه المجالس أن يَهْتَمَّ بالآداب الشَّرْعِيَّة في نظافة البَدَن واللِّباس.

وكان مِن تَوقِير سَلَفِنا الصَّالِح للحديث أنَّهم ما كانوا يحدِّثون بحديث النبيِّ ﷺ إلاَّ وهم على أحسن حالٍ وهيئةٍ، ويُرَبُّون أتباعهم على ذلك، قال الحافظُ أبو سَلَمَة الْخُزاعي (ت٢١٠هـ) رحمه الله تعالى: "كان مالكُ بن أنسٍ إذا أرادَ أن يَخرُج ليُحدِّث؛ تَوَضَّأ وُضُوْءَه للصَّلاة، ولَبِسَ أَحْسَنَ ثِيابه، ولَبِسَ قَلَنْسَوَتَه، ومَشَطَ لِحْيَتَه، فقِيل له في ذلك[٢]، فقال: أُوَقِّرُ به حديثَ رسولِ الله ﷺ"[٣].

فينبغي لطالب الحديث أن يَحرِص كُلَّ الحرصِ على لزوم الطهارة في مجالس الحديث النبوي، والاهتمام بالنظافة.

٩ – تقديمُ الأهَمِّ على الْهامِّ في طلب الحديث:

لا بُدَّ لطالب الحديث في أوّل عهده بطلب هذا العلم: مِن أن يَصرِف ذِهْنَه القويَّ، ووقتَه الغالي النفيس في طلب ما هو الأفضَلُ، والحصولِ ما هو الأطيَبُ من العِلم، ليَكسَب الأغنمَ والأمثلَ.

وكان أئمةُ الحديثِ – رحمهم الله تعالى – يَحُثّون طُلاَّبهم على لزوم الاشتغالِ بالْمُهِمِّ وتقديمِه على غير الْمُهِمّ في رواية الحديثِ وسماعه، وفي ذلك لهم أقوالٌ كثيرةٌ، ومنها:

١) قولُ الإمام عبد الرحمن بن مهدي (ت١٩٨هـ) رحمه الله تعالى: "لا يكون إماماً في العلم، مَن أَخَذ بالشَّاذّ مِن العلم، أو رَوَى عن كلِّ أحدٍ، أو رَوَى كُلَّ ما سَمِعَ"[٤].

٢) وقولُه أيضاً: "لا ينبغي للرجل أن يَشْغَل نفسَه بكتابة أحاديث الضِّعاف، فإنَّ أقَلَّ ما فيه أن يَفُوْتَه بقَدْر ما يَكتُب من حديثِ أهل الضَّعف، يفوته من حديث الثِّقات"[٥].

٣) وقولُ الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) رحمه الله تعالى، الذي وَضَّح فيه حالَ مَن تَرَك الْمُهِمَّ واشتغل بغير الْمُهِمِّ، فقال: "تركوا الحديثَ وأقبلوا على الغرائب، ما أقَلَّ

---

[١] كما جاء في حديث أخرجه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «فإن الملائكة تتأذَّى مما يتأذَّى منه الإنسُ». (صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب نهي من أكل ثوماً...، برقم: ٥٦٤).

[٢] يعني عن سبب ذلك الاهتمام البالغ.

[٣] الجامع لأخلاق الراوي: للخطيب البغدادي: (٣٨٨/١)، برقم (٩٠٣).

[٤] المرشد الوجيز إلى علوم تتعلَّق بالكتاب العزيز: لابن أبي شامة المقدسي، ص١٧٩

[٥] الكفاية في علم الرواية: للحافظ الخطيب البغدادي، ص١٣٣.

الفِقْهَ فيهم!"[١]. أي ما أقَلَّ الفهمَ فيهم؛ لأنهم تركوا مشهورَ الحديثِ وصَرَفُوا جُهْدهم لغريبه وشاذِّه[٢].

١٠ – الْحَذَرُ من الخوضِ في الخلافِيّات ومن الانشغال بالشُّبُهات:

لا ينبغي لطالب الحديث أن يَشغُل نفسَه في بدايةِ عهده بطلب هذا العلم بالشُّبُهات الْمُثارة على أَلْسِنَة أعداءِ السُّنَّةِ الْمُطَهَّرةِ حول السُّنَّةِ وحُجِّيَّتِها وتشريعيتِها، إلاَّ بعد رُسوخ قدمِه في علم الحديث روايةً ودرايةً، ومعرفةِ الحقِّ[٣]. فإنَّه إنْ شَغَل نفسَه بمثل تلك الشُّبُهَات وهو في أوَّل أمرِه في طلب هذا العلم؛ يُخشى عليه أن يتعلَّق بعضٌ منها بذِهْنه، ولا يَجِدُ لها جواباً فتَستقِرُّ في قلبه، وقد تَمنعَه من قبول الْحَقِّ بعد ذلك[٤].

أمّا إذا اضْطَرَّتْ الطالِبَ حاجةٌ إلى قراءة كتابٍ من كُتُب المستشرقين أو غيرِهم من كُتُب الْمُعادِين للسُّنّة النبوية أو لدِين الإسلام، فينبغي له أن يَستشير أولاً من شيوخه أو أساتذته، فيَقرأ ما يَختارونه له من الكتب، ويَرجِع إليهم إذا التوى عليه فهمُ محتوياته.

١١ – مُذاكَرة الحديث:

يُقصَد بـ"الْمُذاكَرَة" عند العلماء: طَرْح موضوعٍ للبحث بين اثنَيْن أو أكثَر، وقد يكون الموضوعُ مسألةً فِقهيةً، أو حديثيّةً، أو لُغَوِيّةً، أو نَحْوِيّةً، أو غيرَ ذلك[٥].

وكذلك قيل في تعريف "المذاكرة" إنها: "مُطارَحاتٌ علميةٌ، ومُساجَلاتٌ حديثيةٌ، يَعرِض فيها الجلساءُ من حُفّاظ الحديث وطَلَبَتِه لذِكْر فوائد الأحاديث، وغرائب الأسانيد، وخفي التعليلات، يسأل بعضُهم بعضاً عن ذلك، ويُفيد الواحدُ منهم الآخرَ ما غابَ عنه"[٦].

فالمذاكَرةُ بأيِّ تعريفٍ كانت مِن ذانك التعريفَين؛ لا بُدَّ منها لطالب الحديث، لِمَا لها من الفوائد الْجَمّة، منها أنها: تَشحَذ الذِّهْنَ، وتُقَوِّي الذاكرةَ، وتُثَبِّتُ ما حَفِظَه وقَرَأه الطالبُ

---

[١] الكفاية في علم الرواية: للحافظ الخطيب البغدادي، ص١٤٢.

[٢] قيمة الزمن عند العلماء: للشيخ عبد الفتاح أبو غدة، ص ١٩٣.

[٣] انظر: "تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم" لابن جماعة، ص: ١٠٤.

[٤] آداب طالب الحديث الشريف: للدكتور الخشوعي الخشوعي محمد، من "موسوعة علوم الحديث الشريف" (١/٣٠).

[٥] انظر: "الجرح والتعديل" للدكتور إبراهيم بن عبد الله اللاحم، ص٦٢.

[٦] انظر: "نصائح منهجية لطالب علم السنة النبوية" للشيخ حاتم بن عارف العوني، ص٥٤.

من الحديث وعلومه، كما أنها تَترُك أثراً بالغاً في تكوين شخصيته العلمية، لذلك كَثُرَتْ في أهميتها أقوالُ السَّلَفِ، منها:

١) قولُ عليٍّ بن أبي طالبٍ ﷺ: "تَزَاوَرُوْا وتَدَارَسُوْا[١] الحديثَ، ولاَ تَتْرُكُوه يَدرُس"[٢]، يعني: يُنسَى.

٢) وقولُ أبي سعيد الْخُدْري ﷺ: "تَحَدَّثُوا وتَذاكَرُوا، فإنَّ الحديث يُذكِّر بعضُه بعضاً"[٣].

٣) وقولُ التابعيِّ الحافظ الفقيه عبد الرحمن بن أبي لَيْلى الأنصاري (ت٨٣هـ): "إحياءُ الحديثِ مُذاكَرتُه، فتَذاكَرُوا"[٤].

وللإمام عبد الله بن المبارك (ت١٨١هـ) أبياتٌ طريفةٌ، يُنَوِّهُ فيها مَجالِسَ الْمُذاكِرة، ويُثني على أهلها، وما يَجْنَوْنَه منها، يقول رحمه الله تعالى:

ما لَذّتي إلاّ رِوَايةُ مُسْنَدٍ ... قَدْ قُيِّدَتْ بفصاحة الألفاظِ

ومَجالِسٌ فيها تَحِلُّ سَكِينةٌ ... ومُذاكَراتُ مُعاشِرِ الْحُفّاظِ

نَالَوْا الفضيلةَ والكَرامةَ والنُّهَى ... مِن رَبِّهم برعاية وحِفَاظِ

لاظُوا[٥] برَبِّ العَرْشِ لَمّا أَيْقَنُوا ... أنَّ الْجِنَـــانَ لِعُصْبَةٍ لُوَّاظِ[٦] [٧]

[٧]

أمّا المنهجُ الذي ينبغي أن يَسير عليه الطالبُ في المذاكَرة مع أصحابه وأقرانه فقد وضَّحه الإمامُ النَّوَوِيّ (ت٦٧٦هـ) – رحمه الله تعالى– فقال:

"وليس المرادُ مِن هذا العلمِ[٨] مُجَرَّدَ السَّماع، ولا الإسماع، ولا الكتابة؛ بل الاعتناءُ بتحقيقه، والبحثُ عن خَفِيِّ معانِي المتون والأسانيد، والفكرُ في ذلك، ودَوَامُ الاعتناءِ به،

---

[١] أي: تَذاكَرُوا.

[٢] الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: للخطيب البغدادي: (٢٣٦/١)، برقم (٤٦٥).

[٣] المرجع السابق: (٢٣٧/١)، برقم (٤٦٨)..

[٤] جامع بيان العلم وفضله: لابن عبد البر: (٣٧٥/١)، برقم: (٧٠٧).

[٥] لاظوا: أي أقاموا ولَزِموا.

[٦] اللاَّظ: جمعُه "لُوَّاظ": الْمُلازِمُ للمكان.

[٧] الجامع لأخلاق الراوي: للحافظ الخطيب البغدادي: (٢٧٨/٢)، برقم (١٨٤٦).

[٨] أي علم الحديث النبوي.

ومراجعةُ أهل المعرفة به، ومطالعةُ كتب أهل التحقيق فيه، وتقييدُ ما حصَّل من نفائسه وغيرِها، فيَحفَظُها الطالبُ بقلبه، ويقيِّدها بالكتابة، ثم يُدِيْم مطالعةَ ما كَتَبَه، ويتحرَّى التحقيقَ فيما يَكتُبه ويتثبَّت فيه، فإنه فيما بعد ذلك يصير معتمداً عليه.

ويُذاكِر بمحفوظاته مِن ذلك مَن يَشتغِل بهذا الفنِّ، سواء كان مِثْلَه في المرتبة، أو فوقَه، أو تحتَه، فإنَّ بالمذاكرة يَثْبُتُ المحفوظُ ويتحرَّر، ويتأكَّدُ ويتقرَّرُ، ويزدادُ بحَسَبِ كثرةِ المذاكرة.

ومُذاكَرةُ حاذِقٍ في الفَنِّ [1]ساعةً؛ أنفَعُ من المطالعةِ والحِفظِ ساعاتٍ، بل أيّاماً.

ولْيَكُنْ [الطالبُ] في مُذاكَرته متحرِّياً الإنصافَ، قاصداً الاستفادةَ أو الإفادةَ، غيرَ مترفِّعٍ على صاحبه بقلبه ولا بكلامِه، وبغيرِ ذلك مِن حالِه، مُخاطِباً له بالعبارة الجميلة اللَّيِّنَة؛ فبهذا يَنْمُو عِلمُه، وتَزْكُوْ محفوظاتُه، والله أعلَمُ"[2].

وهذا منهجٌ سديدٌ في المذاكَرة، يعرِّفنا أهميتَها وفوائدَها، ويبيِّن لنا آدابَها التي ينبغي أن يراعيها الطلابُ.

١٢ – الرِّحْلَة في طلب الحديث:

إنّ الرِّحلة في طلب العلمِ مُهِمّةٌ جليلةٌ، وهي تُعتبَر إحدى أهَمِّ أسباب اكتسابِ العِلم، كما أنها من مزايا أهل العلم في الإسلام من قديم الزَّمان.

ولَمَّا كان الحديثُ النبوي هو المصدرُ الثاني للإسلام، وكان منه بهذه المثابة؛ فقد ضَرَب الصحابةُ ﷺ مثلاً رائعاً في طلبه، فكان أحدُهم يَرحَلُ من المدينة إلى الشَّام أو إلى مِصْرَ؛ ليَأخُذَ الحديثَ عمَّن تفرَّد بروايته عن النبيِّ ﷺ، أو ليتوثَّق من رواية حديثٍ سَمِعَه.

كما ضَرَب في ذلك مَن بعدهم مِن التابعين وأتباعهم، ومن الأئمة والعلماء أمثلةً رائعةً، وأعطوا لذلك غايةَ اهتمامِهم، وبَذلُوا مِن أجل ذلك كُلَّ ما في وُسْعِهم، حتى رَحَلُوا المسافاتِ البعيدة، على بُعْد الشُّقَّة وعِظَمِ الْمَشَقَّة وغَوْلِ الطَّريق، طلباً للحديث[3]، وبحثاً عن أسانيد الأحاديث، بل عن إسناد الحديث الواحد، امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾

---

[1] يعني مَن له معرفةٌ ودرايةٌ جيدةٌ بالعلم الذي سيُذاكِره فيه.

[2] انظر: "مقدمة المجموع شرح المهذب" للإمام النووي: (١/٣٨).

[3] من مقدمة الدكتور نور الدين عِتْر في مقدمة تحقيقه لكتاب "الرحلة في طلب الحديث" للحافظ الخطيب البغدادي، ص١٦، ١٧، بتصرف يسير.

[التوبة: ١٢٢]، وتحقيقاً لِمَا حَثَّ عليه الرسولُ المعلِّمُ – عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ – بقوله: «مَنْ سَلَكَ طَرِيْقاً يَلْتَمِسُ فِيْهِ عِلْماً؛ سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيْقاً إِلَى الْجَنَّةِ»[١]، وقولِه: «مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ؛ فَهُوَ فِي سَبِيْلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ»[٢]، وقولِه: «مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِه ابْتِغَاءَ الْعِلْمِ؛ وَضَعَتْ الْمَلاَئِكَةُ أَجْنِحَتَهَا له رِضاً بِمَا يَصْنَعُ»[٣].

لذلك كانت الرحلةُ في طلب الحديث، مقصداً أساسياً في نفوس العلماء السابقين للازدياد من العلم وتنقيحِه وتنويعِه وتعميقِه، فما كان يَتخلَّف عنها إلاَّ مَن أَقعَده ضَعْفُ الجسم، أو كثرةُ العِيال، أو فقدُ الدُّرَيْهمات، أو رعايةُ حقِّ الوالدة أو الوالد[٤].

ذلك لأنهم جعلوا "الرحلة" مَناطَ الثِّقَةِ بالعالِم، فقالوا كلمتَهم المشهورة: "مَن لم يَرحَل فلا ثِقَةَ بعلمه"[٥].

كما كانوا يَعتبِرون الرحلةَ علامةً على علم الرَّجُل، قال الإمامُ يحيى بن مَعِين (ت٢٣٣هـ) رحمه الله تعالى: "أربعةٌ لا تُؤْنِس منهم رُشْداً[٦]: حارسُ الدَّرْبِ، ومُنادي القاضي، وابنُ المحدِّثِ، ورَجُلٌ يَكتُب في بلده ولا يَرحَل في طلب الحديث"[٧].

كذلك جَعَل البعضُ منهم الرحلةَ في طلب الحديث النبوي سبباً في دفع الله تعالى البلاءَ عن هذه الأمة، فقال الإمامُ الزاهد إبراهيم بن أدْهَم (ت١٦٢هـ) رحمه الله تعالى: "إنَّ الله يَدفَع البلاءَ عن هذه الأمة برحلة أصحاب الحديث"[٨].

ونظراً لِمَا للرحلة في طلب الحديث من أهميةٍ كبيرةٍ، وفوائدَ جَمّةٍ؛ أكَّد عليها الحافظُ ابن الصَّلاح (ت٦٤٣هـ) رحمه الله تعالى بقوله: "وإذا فَرِغَ [الطالبُ] من سَماع العوالي

---

[١] أخرجه الترمذي في السنن، أبواب العلم، باب فضل العلم، برقم: (٢٦٤٦)، وقال: "هذا حديث حسن".

[٢] أخرجه الترمذي في السنن، أبواب العلم، باب فضل طلب العلم، برقم: (٢٦٤٨)، عن أنس بن مالك ﷺ، وقال: "هذا حديث حسن غريب".

[٣] أخرجه ابن ماجه في مقدمة السنن، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، برقم (٢٦٦)، والحاكم في المستدرك، (١٨٠/١)، برقم (٣٤١)، وابن حبان في الصحيح (١٥٥/٤) برقم (١٣٢٥)، وكلهم عن صفوان بن عَسّال المرادي ﷺ، وقال محقق صحيح ابن حبان: "إسناده حسن".

[٤] صفحات من صبر العلماء: للشيخ عبد الفتاح أبي غدة، ص١٠٧.

[٥] صفحات من صبر العلماء: للشيخ عبد الفتاح أبي غدة، ص١٠٧.

[٦] أي لا تُبصِر منهم خيراً ولا نفعاً. (صفحات من صبر العلماء: للشيخ أبي غدة، ص١٠٧).

[٧] الرحلة في طلب الحديث: للحافظ الخطيب البغدادي، ص٨٩.

[٨] المرجع السابق، ص٩٠.

والْمُهِمّات التي ببلده، فليَرحَلْ إلى غيره"[١]، نعمْ! فليَرحَلْ بصيغة الأمر، وذلك لِما لَمَسُوه من فوائد الرِّحلة وآثارِها النافعة، وتكوين المواهب الشخصية، وتنميةِ الْمَدارِك العلمية، وتَوْسِعةِ الآفاق الفكرية، والتَّطاعُم من العقول والمعارف وأهلِها، فلذلك أقاموها مُقامَ الحاجةِ الضرورية لِمَن سَلَك طريقَ العلمِ والتحصيل، واعتبروها شرطاً لتوثيق العالِم والثِّقَةِ بعلمه[٢].

لذلك فقد أَوْلَى السَّلَفُ – رحمهم الله تعالى – عنايتَهم بالرِّحلة في الحديث النبوي، وطَوَوْا في ذلك مسافاتٍ طويلةً، وكابدوا في سبيله مَشَقّاتٍ جسيمةً، بَعِيدين عن الأهل والوَلَد، والزوجةِ والبَلَد، متفرِّغين لطلب الحديث، ولقاء علمائه وشيوخه، والرِّواية عنهم والسَّماع منهم، وأخبارُهم في ذلك كثيرة، منها:

يقول التابعي الجليل الإمام سعيد بن المسيِّب (ت٩٤هـ) رحمه الله تعالى: "إن كنتُ لأرحَل الأيامَ واللَّيالي في الحديث الواحد"[٣].

وذُكِرَ في ترجمة الإمام البخاري (ت٢٥٦هـ) – رحمه الله تعالى – أنه قد بدأ رِحْلَته في طلب الحديث وهو لا يزال في الرابعة عشرة من سِنّه، وقد زار البلدانَ الإسلامية ما بين بُخارى ومصرَ، وحدَّث عن علمائها وشيوخها[٤].

وحَكَى الإمامُ أبو محمد عبد الرحمن الرَّازي (ت٣٢٧هـ) عن والده الجليل إمام الجرح والتعديل أبي حاتم محمد بن إدريس الرَّازي (ت٢٧٧هـ) رحمهما الله تعالى، فقال: "سمعتُ أبي يقول: "أوّلُ سنةٍ خرجتُ في طلب الحديثِ أقمتُ سبعَ سنين، أحصيتُ ما مَشَيْتُ على قَدَمَيَّ زيادةً على ألف فَرْسَخٍ[٥]، لم أَزَلْ أُحصي حتى لَمّا زادَ على ألف فرسخٍ تركتُه.

وأمّا ما كنتُ سِرْتُ أنا من الكُوْفَة إلى بغداد، فما لا أُحصي كم مَرّةً، ومن مَكّةَ إلى المدينة مَرّاتٍ كثيرةً، وخرجتُ من البحر من قُرْب مدينة (سَلاَ)[٦] إلى مصرَ ماشياً، ومن مصرَ إلى الرَّمْلَة ماشياً، ومن الرَّمْلَة إلى بيت الْمَقْدِس، ومن الرَّمْلَة إلى عَسْقَلان، ومن الرَّمْلَة إلى

---

[١] علوم الحديث: لابن الصلاح، النوع الثامن والعشرون، ص٢٤٦.

[٢] صفحات من صبر العلماء: للشيخ عبد الفتاح أبي غدة، ص١٠٧.

[٣] الرحلة في طلب الحديث: للحافظ الخطيب البغدادي، ص١٢٨، ١٢٩.

[٤] تذكرة الحفاظ: للحافظ الذهبي: (١٣٤/٣).

[٥] الفَرْسَخ بمشي القدم: نحو ساعة ونصف، وهو ثلاثة أميال، نحو خمسةِ كيلومترات. (المعجم العربي الأساسي: ص٩٢٦).

[٦] وهي تقع اليوم في المغرب الأقصى.

طَبَرِيَّة، ومن طَبَرِيّة إلى دمشق، ومن دمشق إلى حِمْصَ، ومن حمص إلى أنْطاكِيَة، ومن أنطاكية إلى طَرَسُوْس.

ثم رجعتُ من طَرَسُوْس إلى حمص، وكان بَقِيَ عليَّ شيءٌ من حديث أبي اليَمَان فسمعتُه، ثم خرجتُ من حمص إلى بَيْسان، ومن بَيْسان إلى الرَّقَّة، ومن الرَّقّة ركبتُ الفُراتَ إلى بغداد، وخرجتُ قبل خروجي إلى الشَّام من واسِط إلى النِّيْل، ومن النِّيْل إلى الكُوْفَة، كُلُّ ذلك ماشياً، كُلُّ ذلك ماشياً، هذا في سفري الأوّل وأنا ابنُ عشرين سنةً، خرجتُ من الرَّيّ – موطنه – سنة ٢١٣هـ في شهر رمضان، ورجعتُ سنة ٢٢١هـ"[١].

وقِيل في ترجمة محدِّث الأُنْدُلُس الإمام الثِّقَة ابن حَيُّوْن (ت٣٠٥هـ) – رحمه الله تعالى – أنه سَمِعَ الحديثَ في الأندلس، والعراق، والحجاز، واليمن، وهكذا قَطَع قارةَ إفريقية من طَنْجَة إلى مصر، وعبر البحر الأحمر[٢].

وأخبارُهم في ذلك كثيرةٌ وعجيبة[٣]، ومُطالِعُها يُدهَش لطموحهم في ذلك، حتى أنهم كانوا يَقطعَون مثلَ تلك المسافات الشَّاسعة على الأقدام مُشاةً في سبيل سَماع الحديث وروايته، ويُكابدون من الصِّعاب ما يفوق التخيُّل، لا شكَّ أنَّ الرحلة على الصِّفة التي قاموا بها رحمهم الله تعالى، هي مِن مزايا وخصائص هذه الأمة المحمَّدية، و لم يُعهَد في الناس قَبْلَ الإسلام مثلُها.

فوائد الرِّحلة:

إنَّ الرِّحلة في طلب أيِّ علمٍ كان من العلوم الشرعية، لها فوائد قيّمة وعوائد جَمّة، ومن أهمِّها:

١) الغُربة: التي تُعِين الطالِبَ في التفرُّغ لطلب العلم، فالإنسانُ ما دامَ في بيته وبيئته وبين أهله لا يجد وقتاً وفراغاً للطلب.

[١] تقدمة الجرح والتعديل، ص: ٣٥٩.

[٢] تذكرة الحفاظ: للذهبي: (٤/٣).

[٣] وقد ذكر البعضَ منها الحافظُ الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) في كتابه "الرحلة في طلب الحديث"، والشيخُ عبد الفتاح أبو غُدَّة (ت١٤١٧هـ) في كتابه "صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل".

٢) التمكُّنُ من الجوانب العلمية، ومُلاقاةُ العلماء والمشايخ والاستفادةُ منهم، فالذي يَرحَل لطلب العلم يستطيع أن يَلتقي بكثير من العلماء الأجلاّء من ذوي الاختصاص، فيأخذ عنهم مِن علمهم ومعارفهم، ويتحلّى بفضائلهم وأخلاقهم[١].

٣) اتِّساع الثقافة العامة.

٤) تنمية الفضائل والكمالات في النفس.

٥) كسب صداقات جديدة خالصة[٢].

آداب الرِّحلة:

وهي آدابٌ ينبغي مراعاتها لمن يريد الرحلةَ في طلب العلم؛ حتى تُؤتِي الرحلةُ ثمارَها، وتتحقَّق أهدافُها أيّاً كان العِلمُ يَرحَل فيه الطالِبُ، وها هو مُجمَلٌ من تلك الآداب:

١) الإخلاص لله تعالى، فإنه رأسُ الأمرِ في طلب العلم.

٢) الاستخارة من الله تعالى قبل الرحلة.

٣) الاستشارة من أهل الفضلِ والعلم والخبرة قبل الرحلة ليَعرِف الطالبُ ما يبدأ به من البُلدان والْمَشايخ، وما يَحرِص على تحصيله من علمٍ وفوائد، وما يُعِينه على تحقيق بُغْيَتِه[٣].

٤) استئذان الوالِدَين في الرحلة، ولا تَجُوْزُ للطالب الرحلةُ إلا باستئذانهما[٤].

٥) الاختيار الصحيح للبلد الذي يُراد إليه الرحلة، وينتقي ما يكون حافلاً بالعلماء والمشايخ.

٦) الإكثار من الاستفادة من العلماء والْمُذاكَرة معهم[٥].

---

[١] كما أنه سيتمكَّن من كثير من الجوانب العلمية الأخرى، مثل ما ذكره المؤرِّخُ ابن خَلْدُوْن (ت٨٠٨هـ) رحمه الله تعالى، حيث قال: "إنَّ الرحلة في طلب العلومِ ولقاء المشيخةِ مزيدُ كمالٍ في التعلُّم، والسَّبَبُ في ذلك: أنَّ البَشَر يَأخُذون مَعارِفهم وأخلاقَهم، وما يَنتحِلونه من المذاهب والفضائل، تارةً: علماً وتعليماً وإلقاءً، وتارةً: مُحاكاةً وتلقيناً بالْمُباشَرة، إلاّ أنَّ حصول الْمَلَكاتِ عن الْمُباشَرة والتَّلقين أشَدُّ استحكاماً، وأقوى رُسوخاً، فعلى قَدْر كثرة الشُّيوخِ يكون حصولُ الْمَلَكاتِ ورسوخُها...، فالرحلةُ لا بُدَّ منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال، بلقاء الْمَشايخِ ومُباشَرة الرِّجال". (مقدمة ابن خلدون: الفصل الثالث والثلاثون في أن الرحلة في طلب العلوم...: ٥/٢٨٩).

[٢] انظر مقدمة الدكتور نور الدين عتر لتحقيق كتاب "الرحلة في طلب الحديث" للحافظ الخطيب البغدادي، ص٢٤، ٢٨.

[٣] من أدب المحدثين في التربية والتعليم: للدكتور أحمد محمد نور سيف، ص: ١٢٤.

[٤] انظر: "الجامع لأخلاق الراوي" للخطيب البغدادي: (٢/٢٢٨)، برقم (١٦٩٣).

[٥] انظر مقدمة الدكتور نور الدين عتر لتحقيق كتاب "الرحلة في طلب الحديث" للحافظ الخطيب البغدادي، ص٣٠.

وهذه بعضُ أهَمِّ الآداب في الرِّحلة في طلب العلم، والتي ينبغي مراعتها لِمَن يرغب في ذلك.

١٣ – الحِرْصُ على العَمَل بما تَلقَّاه من العِلْم:

إنَّ العَمَل بالعِلْم عبادةٌ وأداءٌ واجبٌ، لقد تَوَارَدَتْ وتَوَاطَأَتْ نصوصُ الكتاب والسُّنَّةِ، وآثارُ سَلَفِ الأُمَّةِ على ذَمِّ تَرْكِ العملِ بالعِلم، فمِن ذلك ما ذَكَره اللهُ ﷻ عن اليهود حيثُ أَعْرَضُوا عن العمل بالعلم فقال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ ﴾ [الجمعة: ٥]، فحَظُّ مَنْ لَمْ يَعمَل بعِلمه كحَظِّ الْحِمَارِ مِن الكتب الَّتِي أَثْقَلَتْ ظَهْرَه.

وكذلك مِمَّا وَرَد في ذلك قولُه ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف: ٣]، والمعنى: أنَّ الله ﷻ يُبغِض مَن تُخالِف أعمالُه أقوالَه، مِثلُ منَ يَنْهَى الناسَ عن الشَّرِّ ورُبَّما نَزَّهَ نفسَه عنه، وهو مُتَلَوِّثٌ ومُتَّصِفٌ به؛ فهذه الحالةُ الذَّمِيمةُ لا تَلِيق بالمؤمنين، فينبغي للآمِر بالخير أن يكون أوّلَ الناسِ مُبادَرةً إليه، والنَّاهِي عن الشَّرِّ أن يكون أبعَدَ الناسِ عنه[1].

وإلى جانب تلك الآيات الكريمة، فقد وَرَد العديدُ من الأحاديث النبوية في تحذير وتَوَعُّدِ مَنْ تَرَك العملَ بالعِلم بعُقوبةٍ شديدةٍ، ومنها ما رواه أُسَامةُ بن زَيْد ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «يُجَاءُ بالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ[2]، فَيَدُوْرُ بِهَا كَمَا يَدُوْرُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُوْلُوْنَ: يَا فُلاَن! مَا شَأْنُكَ؟ أَلَسْتَ كُنْتَ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوْفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُوْلُ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوْفِ وَلاَ آتِيْهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الشَّرِّ وَآتِيْهِ»[3].

---

[1] انظر: "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" للشيخ عبد الرحمن السعدي، ص٩٥٤، ٩٥٥.

[2] يعني: أمعاءَه.

[3] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، برقم (٣٢٦٧)، ومسلم في الصحيح، كتاب الزهد، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، برقم (٢٩٨٩).

ومنها حديثٌ وَرَدَ في الْحَثِّ على العمل بالعلم، الذي رواه أبو بَرْزَة الأَسْلَمِيّ ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لاَ تَزُوْلُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيْمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيْمَا فَعَلَ... »[١].

وكذلك مما وَرَد في أقوال السَّلَفِ في الْحَثِّ على العمل بالعلم:

١) قولُ الإمام عامِر بن شَراحِيل الشَّعْبِيّ (ت١٠٣هـ) رحمه الله تعالى: "كُنّا نَستعِين على حفظ الحديثِ بالعمل به"[٢].

٢) وقولُ الإمامِ وَكِيْع بن الْجَرَّاح (ت١٩٧هـ) رحمه الله تعالى: "إذا أردتَ أن تَحفَظ الحديثَ فاعْمَلْ به"[٣].

٣) وقولُ الإمام أبي إسحاق إبراهيم الْخَوّاص (٢٩١هـ) فيمَن يُكثِر مِن طلب العلم ويَقِلُّ عملُه به: "ليس العلمُ بكثرة الرِّواية، وإنما العالِمُ مَن اتَّبَعَ العلمَ واستعمله، واقْتَدَى بالسُّنَن وإنْ كان قليلَ العِلم"[٤].

٤) وقولُ الحافظ الذهبي (ت٧٤٨هـ) رحمه الله تعالى: "... العلمُ ليس هو بكثرة الرِّواية، ولكنه نُوْرٌ يَقذِفه اللهُ في القلب، وشَرْطُه: الاتِّباعُ، والفِرارُ من الْهَوَى والابتداعِ، وَفَّقَنا اللهُ وإيّاكم لِطاعته"[٥].

ويتبيَّن من كلِّ ما جاء في تلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأقوال المأثورة: أنَّ العِلم لا بُدَّ أنْ يَقترِن بالعمل لتَكتمِل به الفائدةُ، ويَحصُل به النفعُ، فلا خيرَ في حياةٍ تُنفَق في علمٍ لا يَنْبَنِي عليه أو لا يَتْبَعه عملٌ.

فيجب على طالب الحديث "إخلاص النِّيَّةِ في طلبه، وإجهادِ النَّفْسِ على العَمَل بمُوْجبه؛ فإنَّ العِلم شَجَرَةٌ والعملَ ثَمَرَةٌ، وليس يُعَدُّ عالِماً مَن لَمْ يَكُنْ بعِلمه عامِلاً....، فإذا كان العملُ

---

[١] أخرجه الترمذي في السنن، أبواب صفة القيامة، باب في القيامة، برقم (٢٤١٧)، والحديثُ بكامله: «لاَ تَزُوْلُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيْمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فيمَا فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيْمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيْمَا أَبْلاَه»، وقال: "هذا حديث حسن صحيح".

[٢] جامع بيان العلم وفضله: لابن عبد البر: (٥٧١/١)، برقم (١٢٨٤).

[٣] علوم الحديث: لابن الصلاح، ص٢٢٣.

[٤] اقتضاء العلم العمل: للحافظ الخطيب البغدادي: ص٣٠.

[٥] سير أعلام النبلاء: للذهبي: (٣٢٣/١٣).

قاصِراً عن العلم؛ كان العِلمُ كَلاًّ[١] على العالِم، ونعوذ بالله من علمٍ عادَ كَلاًّ، وأَوْرَثَ ذُلاًّ، وصار في رَقَبَة صاحبه غُلاًّ[٢]..."[٣].

١٤ – الاهتمام بالوقت وصرفُه فيما يَنفَع:

يَجبُ على الإنسان أن يُعَمِّر عُمْرَه بالعِلم النَّافِع، والعملِ الصَّالِح، والْمَكْسَبِ الطيّب، والقُرُباتِ الزَّكِيّة، وأن لا يَغْتَرَّ بالقُوَّة والرَّخَاء، بل يَغْتَنِمَ مَواطِنَ الغُنْم في الحياة قبل أن تَعرِض له حالاتُ الضَّعْف، وعَوادي الأيام، وتقلُّبُ الزَّمان. فالوقتُ نعمةٌ مِن نِعَم الله على خَلْقه، ولا بُدّ للعبد مِن شُكر النعمةِ وإلا سُلِبَتْ وذَهَبَتْ. وشكرُ نعمةِ الوقتِ لا يكون إلاّ باستعمالها في الطَّاعات، واستثمارها في الباقيات الصَّالحات.

وعن عبد الله بن عبّاس – رضي الله عنهما – قال: قال رسولُ الله ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُوْنٌ فِيْهِمَا كَثِيْرٌ مِّنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالْفَرَاغُ»[٤]، فهما نِعمتان كبيرتان في حياة الإنسان لا شكّ، ولكنَّ غالِبهم لا يَنتفِعون بهما، بل يَصْرِفُونهما في غير مَحَالِّهما، فيَصِير كلُّ واحدٍ منهما في حَقِّهم وَبالاً، ولو أنهم صَرَفُوا كُلَّ واحدٍ منهما في مَحَلِّه لكان خيراً أيَّ خيرٍ[٥].

لقد كان عند المحدِّثين حرصٌ شديدٌ على الاستفادة من كلِّ لحظةٍ يَقْضَوْنَها، لذا اهتمّوا في نصائحهم لطلابهم بالحرص عليه، والتحذيرِ من تضييعه، وراعوا في إعداد طالب الحديث التنبيهَ على أهمية الوقت، ومحاولةِ الاستفادة منه على أكمل وجهٍ، وتنظيمِ الأوقات، والحرصِ على أن يَصرِف الطالبُ كلَّ وقتٍ فيما يُناسِبه، ويعود عليه بنفعٍ كبيرٍ[٦]، كما أرشدوه أيضاً إلى إلى أجود الأوقات في طلب العلم، لا سيما البُكُوْرُ، لِمَا فيه من البَرَكَةِ والْخَيْرِ، وقد دعا له

---

[١] "الكَلّ": يعني: الثَّقِيل لا خيرَ فيه، كما في التنْزيل العزيز: ﴿ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ ﴾ [النحل: ٧٦]، (انظر: "المعجم الوسيط"، ص٨٣٢).

[٢] "الغُلّ": هو طَوْقٌ من حديد أو جلدٍ يُجعَل في عُنُق الأسير أو المجرِم أو في أيديهما، وجمعُه "أغلالٌ". (انظر: "المعجم الوسيط"، ص٦٩٢).

[٣] العبارةُ بين القوسين للحافظ الخطيب البغدادي – رحمه الله تعالى – في رسالته "اقتضاء العلم العمل"، ص١٤، ١٥.

[٤] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الرقاق، باب الصحة والفراغ، برقم (٦٤١٢).

[٥] قيمة الزمن عند العلماء: للشيخ عبد الفتاح أبو غدة، انظر هامش (٢) صفحة (٣٦).

[٦] من أدب المحدثين في التربية والتعليم: للدكتور أحمد محمد نور سيف، ص٣٥.

النبيُّ ﷺ حيث قال: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِيْ فِي بُكُوْرِهَا»[١]، وقال عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – مُبيِّناً معنى هذا الحديث: "في طلب العلم، والصَّفِّ الأوّل[٢]"[٣].

وقد ذَكَر الحافظُ الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) – رحمه الله تعالى – بعضَ أجودِ الأوقات التي ينبغي للطالب أن يَغتَنم بها، فقال: "أجوَدُ الأوقاتِ: الأسحارُ، ثم بعدَها وقتُ انتصافِ النَّهار، وبعدَها الغَدَوات دُوْن العَشِيّات..."[٤].

كما أشار إلى ذلك أيضاً الإمامُ ابن جَمَاعة (ت٧٣٣هـ) – رحمه الله تعالى – بقوله: "أجوَدُ الأوقاتِ للحفظِ: الأسحارُ، وللبَحْث: الأبكارُ[٥]، وللكتابة: وسطُ النَّهارِ، وللمُطالَعة والْمُذاكَرة: اللَّيْلُ"[٦].

فكانوا – رحمهم الله تعالى – يختارون تلك الأوقات للحفظ والمذاكرة والمطالعة بالليل؛ لخُلُوِّ القلب، فإنَّ خُلُوَّه يسرع إليه الحفظُ[٧].

فعلى طالب الحديث أن يكون شديدَ الحرصِ على استعمال كلِّ لحظةٍ يَقضيها من لحظات وقته الثمين لتعود إليه بالفائدة والنفع.

ولا يَفُوْتُني هنا توجيهُ الطالبِ إلى مطالعةِ بعضِ ما ألَّفه علماؤنا من كتبٍ مفيدةٍ في بيان قيمة الوقت وأهميتِه، لا سيّما كتاب "قيمة الزمن عند العلماء" للعالِم المربِّي الشيخ عبد الفتَّاح أبو غُدَّة (ت١٤١٧هـ)، ففيه الكثيرُ من أخبار السَّلَفِ الحافزة على حفظ الوقت وكسبِه.

١٥ – الآدابُ التي ينبغي مراعاتها في استعمال الكتاب وكيفية الاستفادة منه:

إنَّ الأدب مع الكتاب – سواء أكان في علوم الشريعة أو في غيرها – عند المحدِّثين يقوم على مبدأ التوقير والاحترام، وكانوا يُرَبّون طلابَ العلم على الاهتمام به، وعدمِ التَّهاوُن أو الإهمال والاستخفاف به لكونه مصدرَ علمٍ ونفعَ خيرٍ للإنسانية، لذلك فقد أَوْلَوْه – رحمهم الله تعالى – أخصَّ العنايةِ والاهتمامِ، وسطَّروا ذلك في كُتبهم، وألزموا به طلابَهم، ووضعوا لهم من

---

[١] أخرجه الترمذي في السنن، عن صخر الغامدي ﷺ، في أبواب البيوع، باب ما جاء في التبكير بالتجارة، برقم (١٢١٢)، وقال: "حديث حسن".

[٢] أي: للجماعة في الصلاة.

[٣] الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: للخطيب البغدادي، (١/١٥٠)، برقم (١٨٩).

[٤] الفقيه والمتفقه: للحافظ الخطيب البغدادي، (٢/٢٠٧).

[٥] الأبكار: جمعُ الجمع لـ"بُكْرٌ"، وهي أولُ النهار.

[٦] تذكرة السامع والمتكلم: لابن جماعة، ص٨٣.

[٧] الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: للخطيب البغدادي: (٢/٢٦٥).

الأساليب والقواعد والآداب، ما يقتضي الانبهارَ ويُثير الإعجابَ، وها هي بعض تلك الآداب التي ينبغي للطالب الالتزام بها في استعمال الكتاب وكيفية الاستفادة منه:

١) أن يُراعي في وضع الكُتُب أو ترتيبها في الرُّفوف باعتبار علومها وشرفِها ومصنِّفيها وجلالتهم، فيَضَع الأشرفَ أعلى الكُلِّ، ثم يُراعي التدريجَ، مثلاً: أن يضع القرآنَ الكريم في الأعلى ثم تفاسيرَه وما يتعلَّق به، ثم كتبَ الحديثِ وشروحه وعلومه، ثم كتبَ الفقهِ وأصوله، ثم كتبَ التاريخِ والأدبِ إلى آخره[١].

٢) أن يَصُفَّ الكُتُب في الرُّفوف بطريقة صحيحة، دون مَيْلٍ لها، أو وَضْع الكتبِ الضَّخمة على الصغيرة، مما يعرِّض الثانيةَ للتَّلَف والتَّمَزُّق[٢].

٣) أن لا يضع الكتابَ على مَوْضِع الأقدام في سريرٍ أو صُوْفَةٍ، ولتَكُنْ الغاشيةُ التي من جِهَة البَسْمَلة وأوّلِ الكتاب إلى فوق[٣].

٤) أن يَحذَر من وضع الكتابِ على الأرض، بل يَضَعه على كُرْسيٍّ أو تَخْت خشبٍ أو نحوه؛ كيلا يَسرَع إليه البِلَى والتَّلَفُ بعامل الرَّطُوبة وغيرها، ويَضَع فوقه أو تحته ما يَمنَع تآكُلَ جلدِه، أو ما يُصادِفه أو يُسنِده من حائطٍ أو غيره[٤].

٥) أن لا يَجعَل الكتابَ خزانةً لكراريس أو غيرِها، ولا مِخَدَّةً، ولا مِرْوَحَةً، ولا مِكْبَساً، ولا مِسْنَداً، ولا مُتَّكَأً، ولا مَقْتَلَةً للبَقِّ وغيره[٥].

٦) أن يُراعي الطُّرُقَ الصحيحةَ في فتح الكتاب، وتقليبِ صفحاته، ومُناوَلتِه بين الأيدي، ويُراعي عند فتح الكتاب للقراءة سلامةَ الكتاب، فلا يُعرِّضه للتَّلَف إذا كان مُجَلَّداً فلا يُسرِف في فتحه؛ كيلا يُؤَدِّي ذلك إلى تقطيع حَبْله. يعني موضعَ الخياطةِ من التجليد[٦].

٧) أن لا يَطوِي صفحاتِ الكتاب ذات موضوعاتٍ تَهُمُّه ليَقِفَ عليها عند حاجته إليها، بل يضع عليها إشارةً خفيفةً قابلةً للإزالة، أو علامةً أخرى، وقديماً كان العلماء يَكتُبون كلمة "بَلَغ" للدلالة على المكان الذي وصل إليه[١].

---

[١] تذكرة السامع والمتكلم: لابن جماعة، ص١١٨.

[٢] المرجع السابق: ص١١٨.

[٣] المرجع السابق: ص ١١٨، بتصرف وزيادات.

[٤] من أدب المحدثين في التربية والتعليم: للدكتور أحمد نور سيف، ص٢٣٢.

[٥] تذكرة السامع والمتكلم: لابن جماعة، ص ١١٨، بتصرف وزيادات.

[٦] من أدب المحدثين في التربية والتعليم: للدكتور أحمد نور سيف، ص٢٣٢.

٨) أن لا يَبخُل في إعارة الكتابِ لمحتاجه والمستفيدِ منه، فقد استحبَّ ذلك المحدِّثون لِمَن لا ضررَ عليه فيها مِمَّن لا ضَرَرَ منه بها، لِما فيه من الإعانةِ على العلم وبذلِ الفائدة[٢]، قال الإمامُ وَكِيْع بن الْجَرَّاح (ت١٩٧هـ) – رحمه الله تعالى – مرغِّباً في إعارة الكتاب: إنَّ "أوّل بركة الحديثِ إعارةُ الكتابِ"[٣]. وقال الحافظُ الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) رحمه الله تعالى: "إذا كان لرَجُلٍ كتابٌ مسموعٌ من بعض الشيوخ الأحياء، فطُلِبَ منه ليُسمِع من ذلك الشيخِ؛ فيُستَحَبّ أنْ لا يَمتنِع من إعارته، لِما في ذلك من البِرّ واكتساب الْمَثُوْبَة والأجرِ"[٤].

وقد نظَّم في ذلك الحافظُ أبو الكَرَم خَمِيْس الْحَوْزِي (ت٥١٠هـ) أبياتاً جميلةً، قال فيها رحمه الله تعالى:

كُتُبِي لأهلِ العِلْمِ مَبذُولةٌ أَيْدِيْهِمْ مِثْلُ يَدِيْ فِيْها
مَتَى أرادُوْها بِلاَ مِنَّةٍ عاريـــــةً فَلْيَسْتَعِيْرُوْهَا
حاشَايَ أنْ أَكْتُمَها عَنْهُمْ بُخْلاً كَما غَيْرِيْ يُخَفِّيْها
أعارَنا أَشْياخُنا كُتُبَهم وَسُنَّةُ الأشْيـــاخِ نُمْضِيْها[٥]

وكانوا – رحمهم الله تعالى – حيثُ رغَّبوا الطالبَ في إعارة الكتاب؛ لم يَفُتهم أن يَذكُروا ما للمستعير من آداب أن يُراعيها في استعارة الكتاب، فأرشدوه إليها، وهي:

١) أن يَشكُر الْمُعِيرَ ويَدْعُو له بالخير.

٢) أن يَتفقَّد الكتابَ جيّداً عند استعارته وعند رَدِّه.

٣) أن يُحافِظ على نظافة الكتابِ ما دامَ عنده، ويُعيد إلى صاحبه سالِماً من كلِّ عيبٍ.

٤) أن لا يَحبَس الكتابَ عنده عن صاحبه لوقتٍ طويلٍ، قال الإمام الزُّهْري (ت١٢٤هـ) ليونس بن يَزيد الأيلي (ت١٥٩هـ): "يا يونس! إيّاك وغُلُول الكُتُبِ"، قال: قلتُ: وما غُلول الكتب؟، قال: "حَبْسُها عن أصحابها". فشَبَّه الزهريُّ – رحمه الله تعالى – حَبْسَ

---

[١] تذكرة السامع والمتكلم: لابن جماعة، ص ١١٨، بتصرف وزيادات.

[٢] المرجع السابق، ص١١٦.

[٣] الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: للخطيب البغدادي: (١/٢٤٠)، برقم (٤٧٦).

[٤] المرجع السابق: (١/٢٤٠)، برقم (٤٧٦).

[٥] أدب الإملاء والاستملاء: للسمعاني، ص١٧٥.

الكتبِ في الإثم، ومَنْع الناسِ من حقِّهم بمَن يَغُلُّ من الغنيمة في الحرب قبل أن تُقسَم، فيَأخُذ ما ليس له فيه حَقٌّ، ويَرتكِب بذلك جُرْماً عظيماً[١].

٥) أنْ لا يُصلِح الكتابَ الْمُستعار، ولا يعلِّق عليه تعليقاتٍ، ولا يَكتُب شيئاً في بَياض فَواتِحِه أو خَواتِمِه، إلاَّ إذا عَلِمَ رضا صاحبِه[٢].

وهذا الحِسُّ المرهِف في التعامُل مع الكتاب يَعكِس أبعادَ تلك التربية الفريدة عند المحدِّثين في إعداد الطالب، وإشعاره بأهمية الكتاب والتأدُّب في استعماله، وكيفية الاستفادة منه، والنظرة إليه نظرةَ احترامٍ وإجلالٍ[٣].

١٦ – الْمُناصَحةُ وبذلُ الفائدةِ:

لقد حَثَّ العلماءُ طالِبَ العلمِ على: الْمُناصَحة وإفادةِ بعضِهم بعضاً، سواء أكان ذلك ببذل النَّصْح والإرشادِ والتوجيهِ لِمَن هم بحاجةٍ إلى ذلك، أو بإعارةِ الكُتُب لحِبّانه وخِلاّنه ليستفيدوا منها، أو بالإهداء لها إلى أصدقائه وأحبّائه عملاً بالحديث النبوي: «تَهَادَوْا تَحَابُّوْا»[٤]، وهذه أوْلَى فوائد طلبِ العلم، وعلى وجه الخصوص طلب الحديثِ النبويّ، قال الإمام مالكُ بن أنس (ت١٧٩هـ) رحمه الله تعالى: "مِن بركة الحديثِ إفادةُ بعضِهم بعضاً"[٥]، وقال الإمام عبد الله ابن ابن المبارك (ت١٨١هـ) رحمه الله تعالى: "إنَّ أوَل مَنْفَعَةِ الحديثِ أن يُفيد بعضُكم بعضاً"[٦].

فينبغي أن يكون طالبُ الحديثِ حريصاً على إرشاد رُفقائه وزُملائه إلى ما يَظفَر به من فوائد علميةٍ، عملاً بقول النبيِّ ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ عِلْماً، ثُمَّ يُعَلِّمُهُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ»[٧]، وبقوله عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «مَنْ دَلَّ عَلى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»[٨].

---

[١] من أدب المحدِّثين في التربية والتعليم: للدكتور أحمد محمد نور سيف، ص٢٣٨.

[٢] "تذكرة السامع والمتكلم" لابن جماعة، ص: ١١٦، ١١٥، ١١٩، بتصرف وزيادات.

[٣] من أدب المحدثين في التربية والتعليم: للدكتور أحمد نور سيف، ص٢٣٣.

[٤] أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب قبول الهدية، برقم (٥٩٤)، عن أبي هريرة ﷺ، وهو حديث حسن.

[٥] علوم الحديث: لابن الصلاح، النوع الثامن والعشرون، ص٢٤٨.

[٦] الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: (١٥٠/٢)، برقم (١٤٥٢).

[٧] أخرجه ابن ماجه في السنن، في المقدمة، باب: ثواب معلِّم الناس، برقم: (٢٤٣)، عن أبي هريرة ﷺ.

[٨] أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله، برقم (١٨٩٣)، عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ.

أمّا الذي يَكتُم عن إخوانه شيئاً من الفوائد ليَنفرِد بها عنهم؛ فلا يَنْبَت عِلمُه، وإنْ نَبَت لَمْ يُثمِر، وقد جَرَّب ذلك جماعةٌ من السَّلَف[١]، لقد وَرَد في الحديث النبوي وعيدٌ شديدٌ لِمَن يَكتُم العِلمَ، كما رواه أبو هريرة ﷺ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ يَعْلَمُهُ فكَتَمَه؛ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»[٢].

فيجب على طالب الحديث أن يَحذَر من كِتْمان العِلم الذي رَزَقه اللهُ ﷻ به، وليَكُنْ شديدَ الحرصِ على نشره بكُلِّ ما أُوْتِيَ من وسائلَ وقُدراتٍ.

١٧ – مُراعاةُ الآداب في كتابة الحديث:

لقد ذكر علماءُ الحديثِ آداباً مهمّةً لكتابة الحديث النبوي، والْتَزَم بها أصحابُ هذا الشأنِ تطبيقاً لها في كتبهم ومصنَّفاتهم، فينبغي لطالب الحديث مراعاة تلك الآداب، وهاك بعضاً منها:

١) ينبغي أن يكون خَطُّ الطالبِ حَسَناً وواضحاً، فإنَّ الخطَّ الحسنَ مرآةٌ تعكس الأفكارَ، وتُبرِز جمالَ الألفاظ، وتُريح النفسَ من عناء الإفكار[٣]، وعن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال في تفسير قولِه تعالى: ﴿ أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ ﴾ [الأحقاف: ٤]: "جَوْدَة الخطِّ"[٤]؛ أي: حسن الخطِّ.

٢) يُستَحبُّ أن يكون خَطُّ الطالبِ مُحَقَّقاً، بحيث تكون حروفُها واضحةً، وأن لا تَتداخَل بعضُها ببعض، وأن لا يكون مَشْقاً – وهو مَدُّ الحروف، والسُّرْعَة في الكتابة، دون تحقيق مَعالِم الحروف – فتَلتبِس الحروف المتشابهة على القارئ، وفي ذلك أُثِرَ عن أمير المؤمنين عُمَر بن الخطّاب ﷺ قولُه: "شَرُّ الكتابةِ: الْمَشْقُ، وشَرُّ القراءةِ: الْهَذْرَمَةُ[٥]، وأَجوَدُ الْخَطِّ: أَبْيَنُه"[٦].

كذلك لا ينبغي أن يكون الخطُّ دقيقاً، فقد كَرِهَه المحدِّثون، قال الإمامُ أحمد ابن حنبل (ت٢٤١هـ) لابنه إسحاق حين رآه يَكتُب خطّاً دقيقاً فقال: "لا تفعل، أحوَجُ ما تكون

---

[١] تذكرة السامع والمتكلم: لابن جماعة، ص١١٤.

[٢] أخرجه ابن ماجه، في السنن، انظر: المقدمة، باب من سئل عن علم فكتمه، برقم: ٢٦٦، وهو حديث صحيح. (انظر "الترغيب والترهيب" للمنذري: ١٦٣/١).

[٣] من أدب المحدّثين في التربية والتعليم: للدكتور أحمد نور سيف، ص٢١٧.

[٤] الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: للحافظ الخطيب البغدادي: (٢٥٩/١)، برقم (٥٣٢).

[٥] وهي السرعة في القراءة بحيث لا تبين مخارج الحروف.

[٦] الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: للحافظ الخطيب البغدادي: (٦٢/١) برقم (٥٤١).

إليه يَخُوْنك"[١]؛ فهو – رحمه الله تعالى – يريد بذلك: أنَّ الإنسان معرّضٌ للمرض والكبر، وفي هذين الحالَين يَضعُف النظرُ، وعندما تشتدّ الحاجةُ إلى المكتوب؛ يحول دقة الخطِّ عن القدرة على القراءة، فيَخُونه الخطُّ، ويحول دون تحقيق مرادِه في وقتٍ هو في أشدِّ الحاجةِ إليه.

أمَّا إذا كان ذلك – أي الكتابة بخطٍّ دقيقٍ – بعُذْرٍ فلا بأسَ به، بأن يكون الطالبُ فقيراً لا يجد من الورق سعةً، أو يكون مسافراً، فيدقّق الخطَّ ليوفِّر القرطاسَ ويَخِفّ الحمل[٢].

٣) ينبغي الإتقانُ والضَّبْطُ، والالتزامُ بالشَّكْل والإعجامِ فيما يَكتُبه الطالبُ مُطْلَقاً[٣]؛ وذلك حذراً من بوادر التصحيف والإيهام، فيَستقيم بذلك الكلامُ؛ لأنَّ متن الحديثِ لفظُ رسولِ الله ﷺ، وتغييرُهُ يُؤَدِّي إلى أن يُقال عنه ما لم يَقُلْه، فيَثبُت به حكمٌ من الأحكام الشَّرعية بغير طريقه. كما أنَّ إسناد الحديث فيه أسماء الرُّواة التي لا يَدخُلها القياسُ، ولا يُستَدَلُّ عليها بسياق الكلامِ، ولا بالمعنى الذي يَدُلُّ عليه باللَّفظ، فلذلك الاحتياط ضروريٌّ في كتابتها حتى لا تَشتبِه أسماؤهم وأنسابهم في الخطِّ، وتَختلِف في اللفظ مثل: "بِشْر وبُسْر"، و"بُرَيْد وبَرِيْد"، و"بَرِيْد ويَزِيْد"، و"عَيّاش وعَبّاس"، و"حَيّان وحِبّان وحَنّان"، و"عُبَيْدَة وعَبِيْدَة" وغير ذلك، فلا يُؤمَن على مَن لم يَتمهَّر في صنعة الحديث: تصحيفُ هذه الأسماء وتَحريفُها، إلاَّ أن تُنقَط وتُشْكَل، فيُؤمن من دخول الوَهْم فيها، ويَسلَم من ذلك حامِلها وراويها[٤].

٤) ينبغي للطالب أن يُشْكِل في كتابة الحديث ما يُشْكِلُ عليه فقط؛ فإنَّ في ضبطِ الكُلِّ عَناء، وقد يكون بعضُه لا فائدةَ فيه، لذا لا يتعنَّى بتقييد الواضح الذي لا يكاد يَلتبِس. ومِن أشدّ ما ينبغي أن يُعتنى به في الإشكال والضَّبط هو: أسماء البلاد الأعجمية والقبائل العربية، وأسماء الناس؛ لأنها سماعيةٌ، ولا مَدْخلَ للمعنى والذِّهْن فيها[٥].

---

[١] المرجع السابق: (٢٦١/١)، برقم (٥٣٧).

[٢] انظر: "من أدب المحدثين في التربية والتعليم" للدكتور أحمد نور سيف، ص١١٧، ٢١٨.

[٣] المراد بالْمُطلَق هنا: دون تقييدٍ في الضبط بالحروف، مثلاً أن يكتب فقط: "زُبَيْد". أما مع التقييد في الضبط بالحروف فهو أن يَكتُب: "زُبَيْد" فيقول إثر ذلك: "بضَمّ الزَّاي وفتح الباء الموحَّدة وآخره دالٌ مُهمَلة".

[٤] الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: للحافظ الخطيب البغدادي: (٢٦٩/١).

[٥] إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق ﷺ: للإمام النووي، ص١٤٣.

٥) يجب على الطالب أن يُراعي في افتتاح الكتابةِ أن تَبدأ بالبَسْمَلَة، ولو كان المكتوبُ شِعْراً، قال التابعي الجليل سعيد بن جُبير (ت٩٥هـ) رحمه الله تعالى: "لا يَصلُح كتابٌ، إلا أوّلُه ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾، وإنْ كان شِعْرا"[١]، وهذا ما اختاره الحافظُ الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) – رحمه الله تعالى– واستحسنه[٢]. والمذهبُ الوسطُ في ذلك: أنَّ الشِّعْر كغيره من المكتوب، حَسَنُه حسنٌ، وقبيحُه قبيحٌ، ويُستَفتح بالذي هو خيرٌ في كلّ خيرٍ[٣].

٦) ينبغي للطالب أن يَعتني بمُعارَضة ما كَتَبه بأصله، حتى تَسلَم الكتابةُ من جميع أنواع الخطأ، ويكون طبقاً للأصل. وكانت "الْمُعارَضة" عند المحدِّثين من القواعد المهمّة في ضبط ما يَستنسِخون، فإذا نَقَل أحدُهم نسخةً من كتابٍ؛ لم يعتدّ بتلك النسخة حتى يُقابِلها بأصلها مع شخص آخر موثوق به[٤].

٧) لا ينبغي للطالب أن يَصطلِح مع نفسه اصطلاحاً بما لا يَفهَمه غيرُه، يخرجه به عن عادة الناس[٥].

٨) إذا مَرَّ الطالبُ بذكر الله؛ يُستَحَبُّ أن لا تَفُوته كتابةُ: "عَزَّ وجَلَّ"، أو "تَعَالى"، أو "سُبْحَانَهُ وَتَعَالى"، أو "تَبَارَكَ وَتَعَالى"، أو "جَلَّ ذِكْرُهُ"، أو "تَبَارَكَ اسْمُهُ"، أو "جَلَّتْ عَظَمَتُهُ"، أو ما أَشْبَه ذلك مِن الكلمات.

٩) إذا كَتَب الطالبُ الأسماءَ المركَّبة من أسماء الله تعالى، كـ "عبد الله" أو "عبد الرحمن"، فالأدبُ أن لا يَكتُب لفظَ "عبد" في آخر السطر، ولفظَ الجلالةِ وما بعده في أول السطر، فيُقرَأ من أوّلِ السطر: "الله بن فلانٍ"، وهذا غلطٌ قبيحٌ، يجب على الطالب أن يَتوقَّاه ويَتأمَّله، ويَتحفَّظ منه[٦].

---

[١] الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: للحافظ الخطيب البغدادي: (٢٦٤/١) برقم (٥٤٨).

[٢] المرجع السابق: (٢٦٤/١) برقم (٥٤٨).

[٣] من أدب المحدثين في التربية والتعليم: للدكتور أحمد نور سيف، ص٢٢٠.

[٤] انظر: "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" للحافظ الخطيب البغدادي، (٢٧٥/١)، و"من أدب المحدثين في التربية والتعليم" للدكتور أحمد نور سيف، ص٢٢٥.

[٥] انظر: "علوم الحديث" للحافظ ابن الصلاح، ص١٨٦، و"إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق ﷺ" للإمام النووي، ص١٤٤.

[٦] الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: للحافظ الخطيب البغدادي: (٢٦٨/١) برقم (٥٥٩).

وكذلك لا يَكتُب في آخر السَّطرِ: "قال رسولُ الله"، ويَكتُب في أوّل السطر الذي يليه: "الله ﷺ"، فينبغي التحفُّظُ من ذلك[١].

١٠) يجب على الطالب أن يَكتُب أو يقول عند ذِكر النبيِّ ﷺ: "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم" أو "عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ" بكمالها، لا رَمْزاً إليهما مثل: "ص" أو "صلى" أو "صلعم"، ولا مقتصراً على أحدهما مثل "عليه الصَّلاة"، وقد قال الله تعالى: ﴿ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦][٢].

كذلك لا ينبغي للطالب أن يَسْأَمَ من تكرير الصَّلاةِ على النبيِّ ﷺ عند تكرُّرِه، قال الحافظ ابن الصَّلاح (ت٦٤٣هـ) رحمه الله تعالى: "ولا يَسْأَم من تكرير ذلك عند تكرُّره، فإنَّ ذلك مِن أكبر الفوائد التي يتعجَّلها طَلَبَةُ الحديثِ وكَتَبَتُه، ومَن أَغْفَل ذلك حُرِمَ حَظّاً عظيماً، وقد رُوِّينا لأهل ذلك منامات صالِحة..."[٣].

كذلك إذا فُقدتِ الصَّلاةُ على النبيِّ ﷺ من الرِّواية، فلا ينبغي للطالبِ أن يَترُكها لفظاً، ذلك استجابةً لأمرِ الله ﷻ – في طلب الصَّلاة والسَّلام على النبيِّ ﷺ – في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، ولقول النبيِّ ﷺ: «الْبَخِيْلُ الَّذِيْ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ؛ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»[٤]، لِمَا في ذلك من الكِبْر، وعدمِ القيام بواجب الْحُبِّ، ومُكافَأةِ الْمُحسِن على إحسانه. فالصَّلاةُ والسَّلامُ على النبيِّ ﷺ كسبٌ عظيمٌ للمصلِّي، ففيها كفايةُ الهموم، وغفرانُ الذنوب، كما في حديثٍ رواه أُبَيُّ بن كعب ﷺ أنه قال لرسول الله ﷺ: "إني أُكثِر الصلاةَ عليك فكم أجعل لكَ من صلاتي؟"، فقال ﷺ: «ما شِئْتَ»، قال: قلتُ: الرُّبُعَ؟، قال: «ما شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قلتُ: فَالنِّصْفَ؟ قال: «ما شِئْتَ، وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قال: قلتُ:

---

[١] المرجع السابق: (٢٦٨/١) برقم (٥٥٩).

[٢] انظر: "إرشاد طلاب الحقائق"، ص١٤٥.

[٣] علوم الحديث، لابن الصلاح، ص١٨٨.

[٤] أخرجه أحمد في المسند (٢٥٨/٣) برقم (١٧٣٦)، والترمذي في السنن، أبواب الدعوات، باب رغم أنف رجل ذكرت عنده...، برقم (٣٥٤٦) وقال: "حسن غريب صحيح".

فالثُّلُثَيْنِ؟، قال: «ما شِئْتَ، فإنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قلتُ: أجعَلُ لكَ صلاتِي كلَّها؟، قال: «إذاً تُكْفَى هَمَّكَ، ويُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ»[١].

١١) إذا مَرَّ بالطالبِ اسمُ صحابيٍّ؛ يجب عليه أن يَكتُب: "رَضِيَ اللهُ عَنْهُ". وإنْ كان صحابياً ابنَ صحابيٍّ فيَكتُب: "رَضِيَ اللهُ عَنْهُما". وكذلك يترضَّى ويترحَّم على سائر الصحابة ويَكتُب: "رَضِيَ اللهُ عَنْهُم".

وهكذا يَكتُب للصحابية: "رضي اللهُ عنها". وإن كانت بنتَ صحابيٍّ أو صحابيَّةٍ فيكتب: "رضي اللهُ عنهما". وكذلك إنْ كانت صحابيَّةٌ أكثر من اثنتَين فيترضَّى عنهن جميعاً فيَكتُب: "رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ" [٢].

كلُّ هذا وإنْ لم يكن مكتوباً في الأصل الذي يَنقُل منه الطالبُ، فإنَّ هذا ليس روايةً، وإنما هو دعاءٌ، وينبغي له أن يقرأ كلَّ ما ذُكر وإنْ لم يكن مذكوراً في الأصل الذي يَقْرَأ منه.

١٨ – التأنِّي والتريُّثُ في التدريس حتى يتأهَّل لذلك:

ينبغي أن لا يَحمِل الطالبُ حُبَّ الشُّهرةِ على الْمُبادَرة إلى التدريس، وتَصدُّرِ المجالس قبل أن يَنضِج في العلم، فإنَّ انتصابه للتدريس دون التأهُّلِ له كمَن قال عنه النبيُّ ﷺ: «الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ زُوْرٍ»[٣]، فمَن انْتَصَبَ للتدريس دُوْن أن تَكمُل أهليته، فكأنه يَلبِس ثِيَابَ أهلِ العلم وهو ليس منهم.

يقول الزَّاهِد أبو بكر الشِّبْلي (ت٣٣٤هـ) رحمه الله تعالى: "مَن تَصَدَّر قبل أوانِه؛ فقد تَصَدَّى لِهَوانه"[٤].

ونُقل عن الإمام أبي حنيفة النُّعمان (ت١٥٠هـ) – رحمه الله تعالى – أنه قال: "مَن طَلَب الرياسةَ في غير حِينه؛ لم يَزَلْ في ذُلٍّ ما بَقِيَ"[٥].

---

[١] أخرجه الترمذي في السنن، أبواب صفة القيامة، باب في الترغيب في ذكر الله...، برقم (٢٤٥٧)، وقال: "حديث حسن صحيح".

[٢] مثل: عائشة بنت أبي بكر الصديق، رضي الله عنهما.

[٣] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب النكاح، باب المتشبع بما لم ينل، برقم (٥٢١٩)، ومسلم في الصحيح، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن التزوير في اللباس وغيره، برقم (٢١٣٠) من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها.

[٤] تذكرة السامع والمتكلم: لابن جماعة، ص٦٥.

[٥] المرجع السابق، ص٦٥.

أمّا الذي يجد نفسَه أهلاً للتدريس فيُستَحسَن له أن يَستشِير أهلَ العلمِ قبل أن يُبادِر إليه، لقد أَكَّد المحدِّثون على ضَرُورة ذلك قديماً، فقال الإمامُ مالِكُ ابن أنسٍ (ت١٧٩هـ) رحمه الله تعالى: "ليس كلُّ مَن أحبَّ أن يَجلِس في المسجد للتحديث والفُتْيا جَلَس، حتى يُشاوِر فيه أهلَ الصَّلاحِ والفضل، وأهلَ الجِهَة[1] من المسجد، فإنْ رَأَوْه أهلاً لذلك جَلَس. وما جلستُ حتى شَهِدَ لي سبعون شيخاً من أهل العلم أنِّي مَوْضِعٌ لذلك[2]"[3].

١٩ – الاشتغالُ بالتَّأليف النَّافِع الْمُفِيد إذا تأهَّل له:

وبعد فراغ الطالب ما تيسَّر له من تحصيل هذا العلم؛ يُحبَّذ له الاشتغالُ في مجاله بالبحث أو الإنتاج العلمي المفيد من تصنيفٍ وتأليفٍ وتحقيقٍ إذا كان أهلاً لذلك، لِمَا له في ذلك من فوائد عظيمة، منها: أنه يزيده تَعَمُّقاً في العلم، ويَفتَح له من مَغالِيقه، ويُوسِّع أمامه من مجاله ما لم يكن بحُسبانه، لقد حَثَّ المحدِّثون على ذلك، وذكروا العديدَ من فوائده، ومنهم الحافظُ الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) رحمه الله تعالى، الذي قال: "قَلَّ ما يتمهَّر في عِلم الحديث، ويَقِفُ على غَوامِضه، ويَستبِين الْخَفِيَّ من فوائده، إلاَّ مَن جَمَع متفرّقَه، وألَّف متشتّتَه، وضَمَّ بعضَه إلى بعضٍ...؛ فإنَّ ذلك الفِعلَ مما يقوِّي النَّفْسَ، ويُثبِت الحفظَ، ويُذكِي القلبَ، ويَشحَذ الطبعَ، ويَسبُط اللِّسانَ، ويُجيد البيانَ، ويَكشِف الْمُشْتَبِهَ، ويُوضِّح الْمُلْتَبِسَ، ويُكسِب أيضاً جميلَ الذِّكْرَ، وتخليدَه إلى آخر الدَّهر"[4].

وقال الإمام النَّووي (ت٦٧٦هـ) رحمه الله تعالى: "بالتصنيف يُطَّلَع على حقائق العلوم ودقائقه، ويُثبت معه؛ لأنه يضطرُّه إلى كثرة التفتيش، والمطالعةِ، والتحقيقِ، والْمُراجَعةِ، والاطِّلاعِ على مُختلِف كلامِ الأئمة ومُتَّفِقِه، وواضحِه من مُشكِله، وصحيحِه من ضعيفه، وجزلِه من ركيكه، وما لا اعتراضَ فيه من غيره، وبه يَتّصِف المحقِّقُ بصفة المجتهد"[5].

---

[1] لعلَّ مراده بهم: المشرفين على إدارة المسجد من أهل العلم، والله أعلم.

[2] أي: أهلٌ لذلك.

[3] الديباج: لابن فرحون، ص٢١، و "المجموع شرح المهذب" للإمام النووي (٦٩/١).

[4] الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: للخطيب البغدادي، (٢٨٠/٢)، برقم (١٨٥٢).

[5] المجموع شرح المهذب: للإمام النووي: (٥٦/١).

ثم هو – إضافةً إلى ذلك –: ثوابٌ لا يَنقطِع، وخلودٌ دائمٌ، وذكرٌ جميلٌ، وشَذًى يتضوَّع"[١]، وصَدَق الرسولُ الكريم ﷺ حيث قال: ««إذا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ: إلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُوْ لَهُ»[٢].

وأمّا الذي لم تتحقَّق فيه الأهليةُ للخوض في هذا المجال؛ فعليه أن يتجنَّبه، كما قال الإمامُ النَّوَوي رحمه الله تعالى: "وليَحذَر كُلَّ الحذرِ أن يَشرَع في تصنيفٍ مَن لم يَتأهَّلْ له، فإنَّ ذلك يَضُرُّه في دِينه وعِلْمِه وعِرْضِه"[٣].

كما أشار إلى ذلك الإمامُ ابن جَمَاعة (ت٧٣٣هـ) – رحمه الله تعالى – بقوله: "أمَّا مَن لم يتأهَّل لذلك فالإنكارُ عليه مُتَّجِهٌ؛ لِما يتضمَّنه من الجهل، وتغريرِ مَن يَقِفُ على ذلك التصنيفِ به، ولكونه يُضَيِّع زمانَه في ما لم يُتقِنه، ويَدَعُ الإتقانَ الذي هو أَحْرَى به منه"[٤].

٢٠ – الاحترامُ لِلْمَذاهِب الفِقْهيَّة والاحترازُ عن الْهُجوم عليها:

ومن الآداب التي ينبغي لطالب الحديث أن يتحلَّى بها دائماً في حياته العلمية، ويُلزِمها على نفسه: احترام جميع المذاهب الفقهية، والاحتراز عن الهجوم عليها، والتَّطاوُلِ على أصحابها.

فما أكثَرَ ما يُلاحَظ في طُلاّب الحديث في الوقت الحاضر أنَّ أحدهم إذا اتَّفَقَتْ له إجالةُ نظرٍ في كتب الحديث، أو قِراءةُ كتابٍ من كُتبه، أو صُحْبَةُ سُوَيْعاتٍ لعلمائه؛ يَزعَم أنه قد حَصَل له جَرّاء ذلك شيءٌ من التمكُّن من عِلم الحديث! ثم بناءاً على زعمه هذا؛ يُعرِض عن مذاهب الفقهاء، ويُلقيها وراءه ظِهْرِياً بدعوى الاكتفاء بما نَصَّ عليه الكتابُ والسُّنَّةُ، ويتحمَّس في دعوة النَّاسِ إلى تَرْك التقليدِ، وإيجابِ الاجتهادِ عليهم حتى العَوَام منهم.

ولا شكَّ أنَّ مِثل هذه الْمُحاوَلةِ الغَوغائيةِ، والحماسةِ الهوجاء، في صَدِّ الناس عن تقليد مذهبٍ من المذاهب الفقهية: تُعتبَر فُقْداناً للحكمة والبصيرة، وإثارةً للفِتَن بين صفوف المسلمين، ومحاولةً لتشتيتِ شمْلِهم، بَلْ أعظَمُ مِن ذلك كلِّه إساءةٌ إلى السُّنّة النبوية نفسِها، التي تعتمد عليها تلك المذاهبُ بعد كتاب الله تعالى، في استخراج الأحكام واستنباط الآراء.

---

[١] العبارة بين القوسين من كلام الدكتور محمد بن محمد أبي شهبة في كتابه "الوسيط في علوم ومصطلح الحديث"، ص١٩٢.

[٢] أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، برقم: (١٦٣١).

[٣] المجموع شرح المهذب: للإمام النووي: (٥٧/١).

[٤] تذكرة السامع والمتكلم: لابن جماعة، ص٥٥.

.....

هذا ما يسَّر اللهُ لي من بيان بعضِ تلك الآداب والأخلاق التي ينبغي أن يتحلَّى بها طالبُ الحديث في طلبه لهذا لعلم المبارك، وقد كانت معاني تلك الآداب – كما قال الدكتور أبو شَهْبَة رحمه الله تعالى – متجلّيةً بأحلى صُوَرها في العصور الأولى، ولم تَزَلْ هذه الآدابُ مُتّبعةً في كثيرٍ من الجوامع العلمية الإسلامية والمعاهد الشرعية إلى عهدٍ قريبٍ، ونرجو أن تعود اليومَ كما كانت[١].

المبحث الثالث: المنهج العلمي لطلب علم الحديث روايةً ودرايةً:

إنَّ أهمّ ما ينبغي لطالب الحديث أن يَلتزِم به في بداياته لطلب هذا العلم هو: اتِّباعُ منهجٍ عِلميٍّ متدرّج، بحيث يبدأ مسيرتَه العِلمية بحفظ المتون ثم بقراءة مختصراتٍ، ثم متوسّطاتٍ، ثم مطوَّلاتٍ، وقد نبَّه إلى ذلك قديماً أجلَّةُ علماء الإسلام وفَطاحِل العِلم من أمثال الحافظ الذَّهَبيّ (ت٧٤٨هـ) والمؤرِّخ ابن خَلْدُوْن (ت٨٠٨هـ) رحمهما الله تعالى، فقال الذهبيُّ وهو يَصِفُ طريقةَ التمكُّنِ من الفقه: إنَّ "شأن الطالبِ أن يَدرُس أولاً مُصَنَّفاً (يعني: المتنَ) في الفقه، فإذا حفظه؛ بَحَثه وطالَعَ الشُّروحَ..."[٢].

وما يَنطبِق على الفقه يَنطبِق كذلك على الحديث أيضاً، كما أَكَّد ابنُ خلدون في قوله: "إنَّ الحِذْق في العلم والتفنُّنَ فيه، والاستيلاءَ عليه، إنما هو بحصول مَلَكةٍ في الإحاطة بمبادئه وقواعده، والوقوفِ على مسائله، واستنباطِ فروعه من أصوله، ومالم تَحصُل هذه الْمَلَكةُ؛ لم يكن الحِذْقُ في ذلك المتناول حاصلاً"[٣].

لذلك ينبغي للطالب أن يكون هَمُّه التَّدَرُّجَ على طلب علم الحديث النبوي، ومن فوائده أنه سوف يُمَهِّد للطالب الطريقَ ويسهِّله له حينما يُريد "التخصُّصَ" فيه؛ لأنَّ هذا العلمَ مِن أحوج العلومِ إلى التخصُّص فيه، لشِدَّة عُمْقِه وسَعَةِ بُحوره، وامتدادِ آفاقه، فليس من السَّهل فهمُه، ولا من اليسير تعلُّمُه، إلاَّ مَن وَفَّقه اللهُ تعالى إلى ذلك، لذا قال الإمام الزُّهْري (ت١٢٤هـ) رحمه الله تعالى: "الحديثُ ذَكَرٌ، ولا يُحبّه إلا ذُكُور الرجال"[٤]، وكما أشار إلى

---

[١] الوسيط في علوم مصطلح الحديث: للدكتور محمد بن محمد أبي شهبة، ص١٨٦، بتصرف يسير.

[٢] سير أعلام النبلاء: للذهبي: (٨/٩٠).

[٣] مقدمة ابن خلدون: (١/١٠١٩).

[٤] جامع بيان العلم وفضله: لابن عبد البر، ج١، ص٦٢٩، برقم (١٤٦٥).

ذلك الحافظُ ابن الصَّلاح (ت٦٤٣هـ) – رحمه الله تعالى – بقوله: "إنّ علم الحديث مِن أفضل العلوم الفاضلة، وأنفعِ الفنون النافعة، يُحِبّه ذُكُوْرُ الرجال وفُحولتهم، ويُعنَى به محقّقو العلماء وكَمَلَتُهم، ولا يَكْرُهه من الناس إلا رُذَالتُهم وسَفِلَتُهم"[١].

يعني: أنَّ هذا العلمَ صَلَفٌ لا يُطِيقه إلا فحولُ الرجال، أصحابُ الهِمَم الوَقَّادة، ويَعجز عنه مؤنّثُ الرجال ممن لا طاقةَ لهم عليه، وعلى سَبْر علومه. فدراسةُ هذا العلمِ ثم الْمُكْنَة منه لا تتسنَّى إلاَّ للذي يتمتَّع بعُلوّ الهمة وطُول الصبر على تحصيله، وهو كذلك.

فلذلك لا ينبغي لطالب الحديث التسرُّعُ والاستعجالُ في طلب هذا العلمِ، بل يَتّخِذ في ذلك منهجاً علمياً يكون نبراساً له يسير في ضوئه، والذي سأقدِّمه في هذا المبحث في ضوء إفادات وإرشادات بعض علماء هذا الشَّأن الذين أكرمني اللهُ بالتتلمذ عليهم، والاستفادة منهم، وكذلك في ضوء ما كتبه أمثالُهم في مؤلَّفاتهم ورسائلهم إرشاداً وتوجيهاً إلى مناهج علمية لمن يرغب في التعمُّق في دراسة هذا العلم. وأرجو أن يكون هذا المنهجُ المقترَحُ ناصحاً أميناً، وموجِّهاً خبيراً للطالب، وحافزاً قويّاً له للتقدُّم في هذا العلم والتمكُّنِ منه، إنْ لم يَجدْ حوله مَن يُوَجِّهُه إلى ذلك. أمَّا الذي وَجَد شيخاً مُتقِناً وأستاذاً متخصِّصاً في هذا العلم، يعتني به توجيهاً وتعليماً، فعليه أن يُلازِمه ويستفيد منه حتى يَبرَع في هذا العلم، كما أنَّ "الأصل في طلب العلم أن يكون بطريق التلقين والتلقّي عن الأساتذة والشيوخ المتقنين"[٢].

وبناءً على ما سبق يشتمل هذا المبحث على مطلبَين، أولهما: المنهج العلمي للتدرُّج على قراءة كتب الحديث (المجرَّدة عن الأسانيد ثم المسنَدة)، والثاني: المنهج العلمي للتدرُّج على قراءة كتب دراية الحديث (علوم الحديث).

المطلب الأول: المنهج العلمي للتدرُّج على قراءة كتب رواية الحديث:

يختص هذا المطلب بمنهج قراءة كتب متون الحديث، وهو يشتمل على مرحلتَين، الأولى: المنهج العلمي لقراءة متون الحديث المجرَّدة عن الأسانيد، والأخرى: المنهج العلمي لقراءة كتب الحديث المسنَدة.

المرحلة الأولى: كتب متون الحديث المجرَّدة عن الأسانيد:

إنَّ أول ما ينبغي للطالب أن يبدأ به في دراسة الحديث النبوي هو الكتب المجرَّدة عن الأسانيد، مثل:

---

[١] علوم الحديث: لابن الصلاح، ص٥.

[٢] حلية طالب العلم: للشيخ بكر بن عبد الله أبي زيد، ص٣٠، ٣١.

١- **رياض الصَّالحين**: للإمام النَّوَوِي يَحيى بن شرف الدِّمَشْقِيّ (ت٦٧٦هـ):
جَمَع فيه المؤلِّفُ الصِّحَاحَ من الأحاديث الآمِرة بالمعروف والناهية عن المنكَر، والأحاديثِ المتعلّقة بالترغيب والترهيب، والآداب والأخلاق. فقد ظلَّ هذا الكتابُ على مرّ العصور مرجعاً مُهِمّاً للعلماء وطلاب العلم لِما اشتمل عليه من تلك الموضوعات الهامَّة، وهو يحتوي على (١٨٩٦) حديثاً.
ولهذا الكتاب شروحٌ جيدةٌ، يمكن للطالب أن يستعين بها إذا أشكل عليه فهم أحاديثه؛ مثل: "دليل الفالِحين" للعلامة محمد بن علاَّن الصديقي (ت١٠٥٧هـ)، و"نزهة المتقين" للشيخ مصطفى سعيد الْخَنْ (ت١٤٢٩هـ)[1]، وهما مِن أحسن شروحِ هذا الكتاب، ويَمتاز الثاني عن الأوَّل في سُهولة اللغة وبيانِ فوائد كلِّ حديثٍ من أحاديث الكتاب.

٢- **وبُلُوغ الْمَرَام في أحاديث الأحكام**: للحافظ ابن حجر العَسْقَلاني (ت٨٥٢هـ):
جَمَع فيه المؤلِّفُ الأحاديثَ التي استنبط الفقهاءُ منها الأحكامَ الفِقهيةَ، مُبيِّناً عَقِب كلٍّ منها مَن أخرجه من أئمة الحديث كالبخاري ومسلم ومالك وأبي داود وغيرهم، مُوَضِّحاً درجةَ الحديثِ من صِحّةٍ أو حسنٍ أو ضعفٍ، مرتِّباً على أبواب الفقه، كما ضَمَّ إلى ذلك في آخر الكتاب قِسماً مُهِمّاً في الآداب والأخلاق والذِّكر والدُّعاء. ويشتمل هذا الكتاب على (١٥٦٩) حديثاً.
ولهذا الكتاب أيضاً شروحٌ مفيدة، يُمكن للطالب الاستفادة منها لحلِّ ما يُشكِل عليه من فهمِ أحاديثه؛ مثل: "سُبُل السَّلام" للأمير الصَّنْعاني محمد بن إسماعيل (ت١١٨٢هـ)، و"إعلام الأنام" للشيخ نور الدين عِتْر، وهما من أحسن شروح هذا الكتابِ، لكنَّ الثاني يَمتاز عن الأوَّل بالصِّناعة الحديثية أكثر.

المرحلة الثانية: كتب الحديث الْمُسْنَدة:

وبعد أن يَفرَغ الطالبُ مِن قراءة كتب الأحاديث المجرَّدة عن الأسانيد؛ ينبغي له قراءة الكتبِ التي تُروَى فيها الأحاديثُ بالأسانيد، ويَلتزِم في ذلك الترتيبَ الآتي:

١- **الموطأ**: للإمام مالك بن أنس (ت١٧٩هـ):
وهو أَيْسَرُ كتبِ الحديث الْمُسنَدة لاختصارِه، وقَصْرِ أسانيده، وحُسْنِ انتقاءِ أحاديثه التي لا جِدالَ في صِحّتها. وهو مُرَتَّبٌ على أبواب الفقه، ويحوي كثيراً من فتاوى الإمام مالك

[1] كذلك يُعتبَر شرحُ الشيخ محمد بن صالِح العُثَيْمِيْن (ت١٤٢١هـ) من أحسن شروح هذا الكتاب.

وفتاوى المجتهدين، ولذلك يُعَدّ من كتب الفقه أيضاً. ويَبلُغ عددُ أحاديث هذا الكتابِ نحو (١٨٥٢) حديثاً[١].

٢- **الجامع الصحيح الْمُسْنَد**: للإمام البخاري أبي عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ):
قال الحافظ الذهبي (ت٧٤٨هـ) – رحمه الله تعالى – في هذا الكتاب: "أمَّا جامع البخاري الصحيح فأَجَلُّ كتبِ الإسلامِ وأفضَلُها، بعد كتاب الله تعالى...، فلو رَحَل الشخصُ لسماعِه من ألف فَرْسَخٍ لَما ضاعَتْ رِحلته"[٢].
ويَمتاز هذا الكتابُ بمنهجه المتفرّد المدهِش في إتقانه، فقد تحرَّى فيه مصنِّفه الإمامُ – رحمه الله تعالى – في جمع الأحاديث تَحَرِّياً بالغاً، وعُني فيه عنايةً كبيرةً باستنباط المسائل واستخراجِ المعاني الدقيقة، ولذلك يَنقُل روايةً واحدةً في مواضع مختلفةً مقطّعةً، مثل رواية عائشة – رضي الله عنها – في قصة بَرِيْرَة، قد نَقَلها أكثر من عشرين موضعاً، ولذلك اشتهر قولُ جَمْعٍ من العلماء: "فِقْه البخاري في تراجمه". وقد بلغتْ أحاديثُ هذا الكتاب بالمكرَّر (٧٥٩٣) حديثاً[٣]، وبدون المكرَّر نحو (٤٠٠٠) حديث.

٣- **وصحيحُ مُسْلِم**: للإمام مسلم أبي الحسين مسلم بن الحجَّاج القُشَيْرِيّ (ت٢٦١هـ):
وهو أحدُ مصادر الأحاديث الصحيحة بعد "صحيح البخاري"، ومن ميزاته أنَّ مصنِّفه – رحمه الله تعالى – جَمَع فيه الرِّوايات ذات الموضوعِ الواحدِ في مكانٍ واحدٍ، وتَظهَر فيه الخبرةُ الحديثية من خلال تنوُّع الأسانيد والألفاظ، وبذلك صار استخراجُ الحديثِ منه، ومعرفةُ طُرُقِه المتعدِّدة وألفاظه المختلفة سهلاً، بخلاف البخاري فإنه يَذكُر تلك الوجوهَ المختلفة في أبوابه المتفرِّقة. ويبلغ عددُ أحاديث هذا الكتابِ بالمكرَّر (٧٢٧٥) حديثاً[٤]، وبدون المكرَّر نحو (٤٠٠٠) حديث.
ولتكون قراءةُ الطالبِ لهذين الكتابَيْن قراءةً واعيةً مستوعبةً فيجب عليه أن يضع لنفسه مِقداراً مُعيَّناً منهما يقرؤه كُلَّ يومٍ أو حسبما يتيسَّر له، ليَختِمهما قراءةً في كلّ سنةٍ في أقلّ تقديرٍ، ويَستمِرّ على ذلك ثلاثَ سنواتٍ على الأقَلِّ؛ ليكون مستحضراً غالب متونِ

[١] حسب ترقيم الأستاذ فؤاد عبد الباقي.
[٢] تاريخ الإسلام: للذهبي: (٢٣٢/١٩).
[٣] حسب ترقيم الأستاذ فؤاد عبد الباقي.
[٤] حسب ترقيم الأستاذ فؤاد عبد الباقي.

الصحيحَيْن، كما ينبغي له أثناء قراءتهما أن يُمعِن النظرَ في نصوصهما؛ لأنَّ مجرَّد قراءةٍ سرديةٍ لهما لا يُجديه في هذه المرحلة[١].

ثم يتدرَّج على قراءة كتبِ السُّنَن مثل:

١- **السُّنَن**: للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (ت٢٧١هـ):
الذي استوعب فيه الكثيرَ من أحاديث الأحكام مِمَّا ليس في غيره مِن كتب السُّنَن الأخرى، كما أنَّ لهذا الكتاب ميزة أخرى وهي أنَّ مصنِّفه – رحمه الله تعالى – يَجمَع الأسانيدَ في سندٍ واحدٍ، ثم يَفصِل لفظَ كلِّ واحدٍ منها على حِدَةٍ. وقد بلغتْ أحاديثُ هذا الكتاب (٥٢٧٤) حديثاً.

٢- **والسُّنَن**: للإمام التِّرْمِذِيّ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَة (ت٢٧٩هـ):
الذي رَكَّز فيه على بيان المذاهب الفقهية المهجورة والموجودة، مما جعل هذا الكتابَ مصدراً مُهِمّاً لمعرفة تلك المذاهب، كما اعتنى فيه بالأسانيد ورجالِها جرحاً وتعديلاً وتعليلاً، مع الالتزام ببيان درجة كلِّ حديثٍ تصحيحاً وتحسيناً وتضعيفاً. ويَبلُغ عددُ أحاديث هذا الكتاب (٣٩٥٦) حديثاً.

٣- **والسُّنَن الصُّغْرى**[٢]: للإمام النَّسَائي أبي عبد الرحمن أحمد بن شُعَيب (ت٣٠٣هـ):
الذي جَمَع فيه بين الحديث والفقه، حيث أورد فيه ما ثَبَت عن رسول الله ﷺ من أحاديث الأحكام مما يُمكِن أن يستدلّ به الفقهاء، وكذلك اعتنى فيه ببيان عِلَل الأحاديث. وقد بلغتْ أحاديثُ هذا الكتاب نحو (٥٧٧٤) حديثاً.

٤- **والسُّنَن**: للإمام ابن ماجَهْ أبي عبد الله محمد بن يزيد القَزْوِيْني (ت٢٧٣هـ):
الذي يَمتاز عن غيره مِن كتب السُّنَن المذكورة في: حُسن التبويب في الفقه، وسردِ الأحاديث بالاختصار من دونِ تكرار. وجملةُ أحاديث هذا الكتاب (٤٣٤١) حديثاً.

وهذا الترتيبُ في قراءة هذه الكتبِ قد نَصَح به الطالبَ أكابرُ علماء الحديثِ أمثال: الحافظ ابن الصَّلاح (ت٦٤٣هـ)[٣]، والإمام النَّووي (ت٦٧٦هـ)[٤]، والحافظ السُّيُوْطِي

---

[١] انظر: "نصائح منهجية لطالب علم السنة النبوية" للدكتور حاتم بن عارف العوني، ص٧٠.

[٢] قلتُ "الصغرى" تمييزاً عن "السنن الكبرى". و"السنن الصغرى" تُسمَّى أيضاً بـ"المجتبى" أو "المجتنى"، وهاتان الكلمتان متقاربتان في المعنى.

[٣] في كتابه "علوم الحديث"، انظر صفحة: ٢٥١.

[٤] انظر: "تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي" للحافظ السيوطي: (١٢٩/٢، ١٣٠).

(ت٩١١هـ)[١] وغيرِهم من المتقدِّمين، والمحدِّث الشيخ محمد أحمد شاكر (ت١٣٧٧هـ)[٢]، والعلامة محمد بن محمد أبي شَهْبَة (ت١٤٠٣هـ)[٣]، والشيخ نور الدين عِتْر[٤] وغيرِهم من المعاصرين.

وهذه الكتبُ المسنَدة كلّها تُعتبَر من المراجع الأصلية لرواية الحديث، وفي ذلك كفايةٌ للطالب لإحاطته بأعظَم قَدْرٍ من الحديث النبوي[٥]، فليقرؤها بعنايةٍ وتدقيقٍ، ويُكثِر القراءةَ فيها، وخاصّةً التي اشترطت الصِّحَّةَ، وعلى رأسها: الصحيحان.

وثَمّةَ رأيٌ آخر مفيدٌ للمحدِّث الشيخ محمد زكريا الكانْدَهْلَوِيّ (ت١٤٠٢هـ) في ترتيب قراءة تلك الكتب، وهو رأيٌ جديرٌ بأن يُذكَر هنا، يقول رحمه الله تعالى: "الأَوْجَهُ عندي في ترتيب التحصيل: أن يُقدَّم (التِّرمذيَّ)، ثم (أبا داود)، ثم (البخاريَّ)، ثم (مسلماً)، ثم (النَّسائي)، ثم (ابنَ ماجه)، ثم (الموطَّأ)؛ لأنّ طالِب الحديث أوّل ما يحتاج إليه: تحقيق المذاهب وأنواع الحديث، ثم دلائلهم، ثم طُرُق الاستنباط، ثم جَمْع الرِّوايات، ثم التنبيه على الضِّعاف، ثم التأييد بالآثار...".

ثم بيَّن – رحمه الله تعالى – وظيفةَ كُلٍّ من تلك الكتب فقال: "فإنَّ وظيفة التِّرمذي: بيانُ المذاهب وأنواع الحديث، ومقصدَ أبي داود جمعُ دلائل الأئمة، ومعظمَ خواصِّ البخاري طُرُق الاستنباط، ودأبَ مسلم جمعُ الرِّوايات بالطُّرُق الكثيرة، وأشار النَّسَائيُّ إلى عِلَل الأحاديث، وجَمَع ابنُ ماجه الصِّحاحَ والضِّعافَ، وأكثَرُ ما في (الموطَّأ) الآثارُ".

ثم قال: "لا بُدَّ للحَنَفِيّ خاصّةً أن يقدِّم (الموطَّأ) برواية محمد بن الحسن الشَّيْبَاني[٦]، ثم (معاني الآثار) للطَّحَاوي[١] قبل الأُمَّهات السِّتّ، كما ينبغي للمالِكِيِّ تقديمُ (الموطَّأ) برواية يحيى اللَّيْثي[٢] على السِّتّة، وفيه فوائد لا يخفى"[٣].

---

[١] في كتابه "تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي"، انظر: (١٢٩/٢، ١٣٠).

[٢] في كتابه "الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث"، انظر: (٤٤٢/٤٤١/٢).

[٣] في كتابه "الوسيط في علوم ومصطلح الحديث"، انظر صفحة ١٩١.

[٤] في كتابه "منهج النقد في علوم الحديث"، انظر صفحة ١٩٢.

[٥] فإنْ استزاد الطالبُ في ذلك قراءةً وإحاطةً فلا غِنَى له عن الاعتناء بـ"المسانيد"، لا سِيَّما: "الْمُسْنَدُ" للإمام أحمد بن حَنْبَل الشَّيْبَاني (ت٢٤١هـ)، و"الْمُسْنَدُ" للإمام أبي يَعْلَى أحمد بن علي الْمَوْصِلِيّ (ت٣٠٧هـ).

[٦] لأنَّ في هذه الروايةِ تصنيفٌ لحديث الحجازيِّين (أهل الحديث)، ورأيِ وأثر العراقيِّين (أهل الرَّأي)، كما أنَّ في هذه الرواية مقارنة بين المذهب المالكي والحنفي، كذلك في هذه الرواية بعض الاجتهادات للإمام الشيباني في المذهب أصولاً وفروعاً.

وهذا المنهجُ الذي ذَكَره الكانْدَهْلَويُّ – رحمه الله تعالى – هو الرَّائِجُ في معظم مدارس وجامعات بلاد القارَّة الهندية، حيث تُشرَع فيها دراسةُ الحديثِ النبويِّ بـ"مشكاة المصابيح" للإمام الخطيب التِّبْرِيْزِي (ت٧٣٧هـ)، فيُدرَّس بإمعانٍ وتحقيقٍ، ثم يَعقِبه دورُ تدريسِ كتب الرِّواية في مرحلةٍ تُسَمَّى بـ"دورة الحديث" ويُدرَّس فيها جميعُ تلك كتب الرِّواية – التي أشرتُ إليها آنفاً – مع التركيز على ما يُشكل على الطلاب من أحاديث تلك الكتب سنداً ومتناً.

لحفظ الأحاديث:

وبعد ما تيسَّر للطالب قراءة ما ذُكر من تلك الكتب، وكان – أي الطالبُ – متمتِّعاً بموهبة الحفظِ؛ فينبغي له أن يَعتني بحفظ الأحاديث، ويَبدأ في ذلك بحفظ "الأربعين حديثاً" للإمام النَّوَوِيّ (ت٦٧٦هـ).

ثم يَنتقِل إلى "عُمْدَة الأحكام عن سيّد الأنام" للإمام عبد الغني بن عبد الواحد الْمَقْدِسِيّ (ت٦٠٠هـ)، الذي جَمَع فيه (٥٠٠) حديثٍ مما اتَّفق عليه الشيخان البخاري ومسلم.

ثم إلى "بلوغ المرام" للحافظ ابن حجر، الذي قد سَبَق الحديثُ عنه.

ثم إلى "اللُّؤلؤ والمرجان فيما اتَّفق عليه الشيخان" للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي (ت١٩٦٧م)، الذي جَمَع فيه (١٩٠٦) حديثٍ الذي اتَّفق عليها الشيخان من الأحاديث التي أورداها في صحيحيهما.

ثم يَحفَظُ ما شاءَ مما يوفِّقه الله تعالى إليه مِن الكتب، ولكن بشرطٍ أنْ لا يُضيف إلى محفوظه إلا ما حُكِمَ عليه بالصِّحَّة والقَبول من إمامٍ مُعتبَرٍ[٤].

الكتب المساعِدة في فهم كتب الحديث:

ولتَكُوْنَ قراءةُ الطالبِ لتلك الكتبِ مُثمِرةً له بنتائج طيبة، وعائدةً عليه بفوائد جَمَّةٍ، ومُمَكِّنةً له من "علم الحديث" فيما بعد؛ فينبغي عليه أن يَستمِدَّ في فهم أحاديثها ببعض الأنواع الآتية من الكتب:

---

[١] لأنه يَلتزِم ببيان أدلة الأئمة الآخرين مع أدلة الأحناف، ثم يُحاكِم محاكمةً مُنصِفةً تقدِّم صورةً واضحةً للتفقُّه والاجتهاد، كما أنه يحتوي على كثير من الأحاديث التي تَخْلُو منها الكتبُ الأخرى.

[٢] لأنه مالكيُّ المذهب.

[٣] أوجز المسالك إلى موطأ مالك: للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، ج١، ص٢٣٨، بتصرف يسير.

[٤] نصائح منهجية لطالب علم السنة النبوية: للدكتور حاتم بن عارف العوني، ص٧١.

(أ) **شروح الحديث**:

وهي كتبٌ جدّ نافعةٌ، لِما فيها من الفوائد الحديثية والفِقهية والأصولية واللُّغَوية، مِمَّا لا يستغني عنه الطالبُ البَتّة، وهذه مَفاتِيحُ لِمَن أراد أن يَفتَح مَغالِيقَ ما أَشْكَلَ عليه من الأحاديث في تلك الكتب المسنَدة[1]، وها هي بعض الشُّروح المعتبَرة لها:

أولاً: من شروح "الموطأ":

١- "التمهيد لِما في الموطأ من المعاني والأسانيد: للإمام ابن عبد البَرِّ أبي يوسف بن عبد الله القرطبي (ت٤٦٣هـ).

وهو شرحٌ واسعٌ شاملٌ لهذا الكتاب، بل موسوعة شاملة في الحديث والفقه. رتَّبه المؤلِّفُ على طريقة الإسناد حسب أسماء شيوخ الإمام مالك، الذين رُوي عنهم ما في "الموطأ" من الأحاديث، وذكر ما له عن كل شيخٍ مرتّباً على حروف المعجم، ثم ختمه بالكُنى والبلاغات. وقد اقتصر فيه المؤلِّفُ على ما ورد عن الرسول ﷺ من الحديث متصلاً أو منقطعاً، أو موقوفاً أو مرسَلاً، دون ما في "الموطأ" من الآراء والآثار؛ لأنَّ هاته أفردها المؤلِّف بكتاب آخر سَمَّاه: "الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار فيما تضمَّنه الموطأ من معاني الرأي والآثار".

واستخراج الطالبِ الحديثَ من "التمهيد" قد يكون صعبةً له إن لم يَعرِف اسمَ شيخ الإمام مالك فيه، لذلك لا بُدَّ له أن يعرف أسماء شيوخ الإمام جيدةً.

٢- "أنوارُ الكواكب أبهج المسالك بشرح موطَّأ الإمام مالك" للشيخ الزَّرْقاني محمد بن عبد الباقي المالكي (ت١١٢٢هـ).

وهو شرحٌ متوسِّط للموطأ، وجلُّ أجزائه مأخوذٌ من "فتح الباري"، وقد اعتنى فيه الشارح بضبط مشكل الأحاديث اعتناءاً جيداً.

٣- و"أوجز المسالك إلى موطأ مالك" للشيخ محمد زكريا الكانْدَهْلَوي (ت١٤٠٢هـ).

يَمتاز هذا الشرحُ ببيان المذاهب الأربعة من كتبٍ موثوق بها عند أهلها، والعناية بحلّ اللغات وشروح المطالب وإيضاح المواضيع المعضلة.

ثانياً: من شروح "صحيح البخاري":

١- "فتح الباري" للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ):

---

[1] اقتصرتُ على ذكر أهمِّ وأنفع الشروح لتلك الكتب، وإلا فهناك لكل منها شروح عديدة، انظر للاطلاع عليها: "مصادر الحديث ومراجعه دراسة وتعريف" للمؤلِّف: (٢/٩، ١٠٩).

وهو أجَلُّ شروح هذا الكتاب، وأوفاها وأفضَلُها، جَمَع فيه المؤلِّفُ شروحَ مَن قبله على "صحيح البخاري"، باسطاً في ذلك إيضاح الصحيح، وبيانَ مشكلاته، وحكاية مسائل الإجماع، وبسط الخلاف في الفقه والتصحيح والتضعيف واللغة والقراءات، مع العناية الواضحة بضَبْط "صحيح البخاري" ورواياته، والتنويه على الفروق فيها، والتوسُّع في وصل المعلَّقات. وإلى جانب ذلك يتضمَّن هذا الشرحُ بحوثاً تاريخيةً، وتحقيقاتٍ نادرةً في أنساب الرُّواة، والسِّيْرة، وفوائدَ ونُكَتاً حديثيةً كثيرةً.

٢- و"عُمدة القارئ" للعلامة بدر الدِّين العَيْنِيِّ (ت٨٥٥هـ):

وهو يلي "فتحَ الباري" في الأهمية والإفادة، وفيه مباحث نفيسة في موضوعات مختلفة، وخاصةً في أحاديث الأحكام التي تتعلَّق بالخلاف بين المذاهب، كما أنه يمتاز أيضاً بالتوسُّع في الأنساب واللغات والبيان والبديع ونحوها. وبما أنَّ المؤلِّف حنفيُّ المذهبِ فإنه كغيره من الشُرّاح ينتصر لمذهبه. ولكنه لم يستمرَّ في شرحه للصحيح على منهجٍ واحدٍ، حيثُ أطال كثيراً شَرْحَ الأحاديث في الأجزاء الأربعة الأولى عن بقية أجزاء الكتاب.

ثالثاً: من شروح "صحيح مسلم":

١- "المنهاج" للإمام النَّوَوي (ت٦٧٦هـ):

وهو من أحسن شروح "صحيح مسلم"، يشتمل على كثيرٍ من الفوائد سواء في ذِكْر معاني الألفاظ اللُّغَوِيَّة، وتعليلِ الأحكام الشرعية، والْحِكَم التشريعية، وضبطِ أسماء الرُّواة وأسمائهم وأنسابهم وبلدانهم، وبيانِ درجتهم جرحاً وتعديلاً، وغيرِ ذلك من الفوائد. وبما أنَّ المؤلِّف شافعيُّ المذهبِ فيكتفي أحياناً بذكر مسائل الفروع على مذهبه فقط.

٢- و"فتح الْمُلهِم" للشيخ شَبِّيْر أحمد العُثْماني (ت١٣٦٩هـ):

وهو مِن أوسع شروح "صحيح مسلم"، ولكن لم يتيسَّر لمؤلِّفه إكماله، فكمَّلها القاضي الشيخ محمد تقي العثماني، وتكملتُه تتضمَّن بحوثاً وتحقيقاتٍ حديثيةً، وفقهيةً ودعويةً وتربويةً، كما أنَّ فيه معالجةَ الكثير من القضايا الفقهية المعاصرة، وإزالةَ ما أُثِيْر من شُبُهاتٍ في بعض المسائل.

رابعاً: من شروح "سنن أبي داود":

١- "عَوْن المعبود" للشيخ شمس الحقّ العظيم آبادي (ت١٣٢٩هـ):

وهو شرحٌ وسطٌ للسُّنَن، يَحِلُّ مشكلاتِ الكتاب سنداً ومتناً بكلامٍ مُوجَزٍ لكنه جامع ورصين، وإن استَنْبَطَ من الحديث مسألةً؛ يَذكُرها مع بيان الاختلافِ فيها مع دلائل كلٍّ

واحدٍ من الأئمة دون انتصارٍ لأحدهم؛ ذلك لأنَّ هذا الشرحَ يُمَثِّل اتِّجاهَ "أهلِ الحديث"[١] في شرح الأحاديث، متحرِّراً عن التقليد لمذهبٍ فقهيٍّ مُعَيَّنٍ.

٢- و"بَذْل المجهود" للشيخ خليل أحمد السَّهَارَنْفُوْرِيِّ (ت١٣٤٦هـ):

وهو شرحٌ مبسوطٌ لـ"سنن أبي داود"، ومفيدٌ في الكلام على الرُّواة، وبيان أحكام الأحاديث، وذكر المذاهب الفقهية. وطريقةُ المؤلِّف فيه أنه يذكر مناسبةَ الحديث للترجمة، ويذكر الفائدةَ من تكرار الحديث إن تكرَّر، ويهتمّ بالشَّرْح اللُّغَوي للأحاديث اهتماماً كبيراً، ويستطرد في الاستنباط وذكرِ المذاهب. وبما أن المؤلِّف حنفيُّ المذهبِ فيحاول في شرح المسائل الفقهية ترجيحَ مذهبه على غيره.

خامساً: من شروح "سنن الترمذي":

١- "تحفة الأحوذي" للشيخ محمد عبد الرحمن الْمُبارَكْفُوري (ت١٣٥٣هـ):

وهو مِن أنفع شروح "سنن الترمذي"، وأكثرها تداوُلاً الآن، لكنه في أوّله أجوَدُ من آخره، وهو لا يقلِّد مذهباً معيَّناً من المذاهب الفقهية في شرح أحاديث الأحكام، بل يشرح متحرِّراً عنها. وفيه كلامٌ موجزٌ عن الرُّواة، وحلٌّ جيّدٌ للمسائل مع ذكرِ الخِلافِ فيها، ومن أهمِّ ميزاته أنه يخرِّج الشواهدَ ويعنى بها عنايةً فائقةً، وقد يعجز عن بعضها.

٢- و"معارف السُّنَن" للشيخ يوسف البِنُّوْرِي (ت١٣٩٧هـ):

وهو ناقصٌ لم يُتِمّه الشارحُ فوَصَل فيه حتى نهاية كتاب الحجِّ فقط، مع ذلك لا يُستغنى عنه، فقد ركَّز فيه المؤلِّف على الأبحاث التي تَخدِم "مباحث الأحكام الفقهية" المتعلِّقة بالحديث، لا سيما ما تتعلَّق منها بالفقه الحنفي[٢].

---

[١] هم الذين لا يقلِّدون لمذهب معيَّن من المذاهب الفقهية المتبوعة بحجة أنَّ المسلم مأمورٌ باتِّباع الكتاب والسنة، لا باتِّباع أحدٍ من الأئمة الأربعة، وهم يُعرَفون في غير الهند بـ"اللامذهبيين". وللباحث كتابٌ باسم "مدرسة أهل الحديث ومساهمتها في الحديث النبوي: دراسة نقدية"، يسَّر الله تعالى طباعتَه ونشره.

[٢] ويُوجَد باللغة الأردوية شرحان مفيدان على "سنن الترمذي"، وهما:

١) تحفة الألمعي شرح سنن الترمذي: للمفتي سعيد أحمد البالَنْفُوري: وهو عبارة عن دروسه في "السُّنَن" التي كان يُلقيها في "دار العلوم ديوبند" في فصلٍ يُسَمَّى "دورةَ الحديث"، وهو مطبوع في ثماني مجلَّدات ضخام.

٢) و"درس الترمذي": للقاضي محمد تقي العثماني: وهو مجموعة دروسه للسُّنَن التي ألقاها بالأردية في "دار العلوم الإسلامية بكراتشي"، ثم قام بضبطها وتحقيقها والتعليق عليها أحدُ تلامذته. وفي هذا الكتاب نُكَتٌ علميةٌ نادرةٌ، وفوائد قيمةٌ تتعلَّق بـ"سنن الترمذي" خاصةً، وبعلم الحديث عامةً.

سادساً: من شروح "سنن النَّسائي الصُّغْرى":

١- "ذخيرة العُقْبَى في شرح الْمُجْتَبَى" للشيخ محمد بن علي بن آدم الأَتْيُوْبِيِّ:

وهو شرحٌ موسوعيٌّ على هذا الكتاب، ومِن ميزاته أنه يتوسَّع في الكلام على تراجم رجال أسانيد الحديث جرحاً وتعديلاً، ويذكر لطائفَها، ويشرح مسائلَ تتعلَّق بالحديث، ويبيِّن درجتَه ويذكر مَن أخرجه مِن أصحاب الأصول، ويلخِّص فوائدَ ذلك الحديثِ، ويذكر مذهبَ العلماء إنْ كان هناك اختلافٌ في حُكم ذلك الحديث، ثم يرجِّح الرَّاجحَ منها بما يَقترِن معها من الدَّليل القويم من الكتاب والسُّنّة من غير اتِّباعٍ لمذهبٍ معيَّنٍ في كلِّ ترجيحٍ.

٢- و"التعليقات السَّلَفِيَّة" للشيخ محمد عطاء الله الفُوْجاني (ت١٤٠٩هـ):

وهو شرحٌ متوسّطٌ مفيدٌ، ولكنه لا يتّسم بمنهج موحَّد في شرح الأحاديث لكونه عبارةً عن مجموعةٍ من الحواشي العديدة على السُّنَن مثل: "زهر الرُّبَى" للسُّيُوطي (ت٩١١هـ)، و"حاشية الشيخ عبد الهادي السِّنْدي (ت١١٣٨هـ)"، وحواشي الشيخ أبي عبد الرحمن محمد البَنْجابِي الدِّهْلَوِي (ت١٣١٥هـ) والشيخ أبي يحيى محمد بن كفاية الله الشَّاهْجَهانْفُوْرِي (ت١٣٣٨هـ) والشيخ حسين بن محسن الأنصاري اليَماني (ت١٣٢٧هـ).

سابعاً: من شروح "سنن ابن ماجه":

١- "إهداء الدِّيباجَة" للشيخ صفاء الضَّوي أحمد العَدَوِيِّ:

وهو شرحٌ متوسِّطٌ ومفيدٌ للسُّنَن، يتميَّز بالسُّهولة والتيسير، يشرح غريبَ الحديث من مصادره الأصلية، ويبيِّن ما في أحاديث السُّنَن من أحكام من غير جمودٍ ولا ظاهريةٍ، مستنيراً بأقوال أهل العلم من الأئمة والفقهاء من غير تقليدٍ ولا مذهبيةٍ، ويَحكُم على الأحاديث ويبيِّن درجتَها من الصِّحة والضَّعف.

٢- و"إنجاز الحاجة" للشيخ محمد علي جانْبَاز:

وهو شرحٌ متوسِّط ونافعٌ للسُّنَن، التزم فيه الشارحُ بذكر مذاهب الفقهاء في كل مسئلةٍ فقهيةٍ من كتبها المعتمدة، دون تكلُّفٍ وتعسُّفٍ في الانتصار لمذهب مخصوصٍ، ويعتني بعد تخريج كل حديثٍ ببيان درجته من الصِّحة والضَّعف، ويُترجِم لكلِّ راوٍ في أول مقامٍ وَرَد ذكرُه.

(ب) الكتب المساعدة على معرفة غريب الحديثِ وأحوال الرُّواة جرحاً وتعديلاً:

لا شكَّ أنَّ في الشُّروح المشار إليها آنفاً كفايةٌ للطالب لحلِّ جميع ما أشكل عليه من أحاديث تلك الكتب، سنداً كان أو متناً، ولكن ثَمَّة شروح لا تفي بشرح جميع مشكلات الحديث، فحينئذٍ يمكن للطالب الرجوعُ إلى الكتب المساعدة في فهم الحديث سنداً ومتناً، مثل التي أذكرها فيما يلي:

أولاً: الكتب المساعدة على معرفة أحوال الرُّواة جرحاً وتعديلاً:

أثناء قراءة تلك الكتب المسنَدة إذا احتاج الطالبُ إلى معرفة مراتبِ رُواتِها من حيث الجرح والتعديل، فليَرجِع إلى كتاب "تقريب التهذيب"[١] للحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ)، وهو يَذكُر مراتبَ الرُّواة[٢] في عبارةٍ مُوجَزةٍ تَدُلُّ على مكانتهم من الجرح والتعديل.

أمَّا إذا أراد الطالبُ معرفةً واسعةً في ترجمة هؤلاء الرُّواة، وأقوالِ النُّقَّاد فيهم جرحاً وتعديلاً فليَرجِع إلى أصله "تهذيب التهذيب"، كذلك لمزيدٍ من التوسُّع في ذلك يَرجِع إلى أصله "تهذيب الكمال" للحافظ الْمِزِّي (ت٧٤٢هـ).

ثانياً: الكتب المساعدة على معرفة غريب الحديث:

وللوُقوف على معاني الألفاظ الغامِضة الواردة في أحاديث تلك الكتب؛ يمكن للطالب الرجوعُ إلى هذين الكتابين:

أولهما: "النهاية في غريب الحديث والأثر"[٣] للإمام ابن الأثير الْجَزَرِي (ت٦٠٦هـ)، وهو مفيدٌ جداً لمعرفة واستيضاحِ مفردات الأحاديث.

والثاني: مَجمَع بِحار الأنوار في غرائب التَّنْزيل ولطائف الأخبار: للشيخ محمد طاهر الفَتَّني الغُجْراتي (ت٩٨٦هـ): وهو يَشرَح كلَّ الألفاظ الغريبة في الكتب السِّتَّة شرحاً وافياً.

المطلب الثاني: المنهج العلمي للتدرُّج على قراءة كتب علم دراية الحديث (أي علوم الحديث):

يُراد بـ"علم دراية الحديث" تلك العُلوم التي تَشتمِل على الأصول والقواعد التي يُتَوَصَّل بها إلى

---

[١] وله طبعات كثيرة، ومن أفضلها ما طُبع مِراراً بتحقيق الشيخ محمد عوامة.

[٢] فقط رواة الكتب الستة، لا غيرها.

[٣] وله طبعات عديدة، ومن أحسنها ما صدر أخيراً بعناية الشيخ خليل مأمون شيحا، من دار المعرفة ببيروت، وهي تمتاز بالدقة في ضبط أحاديثها وتخريجها من مصادرها.

معرفة "الصحيح" و"الحسن" و"الضعيف" وغيرِها، وما يَتّصِلُ بذلك من معرفة الجرح والتعديل، وتاريخ الرُّوَاة ومَوالِيدهم ووفياتهم، والناسخ والمنسوخ، ومختلف الحديث وغريبه، إلى غير ذلك من المباحث والأنواع[١].

ولا غِنىً للطالب عن معرفة تلك العلوم؛ لأنها التي تُفصِح له عن أصول الحديث وفروعِه، ويَشرَح مصطلحاتِ أهلِه ومقاصِدهم ومُهِمَّاتِهم. وإذا جَهِلَها الطالبُ فإنّه يُعَدّ نقصاً كبيراً، ويتعطَّل بحِرْمانه منها استكمالُ الفائدةِ التامَّةِ من قراءة الحديث النبوي، لذلك من اللّزام عليه أن يَعتني بقراءة هذه العلوم اعتناءً تامّاً دُوْن أن يُقَصِّر في ذلك أيَّ تقصيرٍ.

وقد أُلِّفَتْ في هذه العلومِ كتبٌ كثيرةٌ على مرِّ العصور، وكلُّ كتابٍ يتفرَّد بمزايا وخصائص لا تُوجَد في غيره.

أما الطريقةُ المفيدةُ في قراءة تلك الكتب فهي: أن يَتَّخِذ الطالبُ لنفسه منهجاً مُعَيَّناً لأجلها، بحيث يَختار أولاً كتاباً مختصراً، وكلما يكون الكتابُ الذي يَبتدِئ به أسهلَ وأوجزَ يكون أفضَلَ وأنفعَ، وبعد ذلك يَخطُو خُطْوَةً خطوةً نحو التحصيل العلمي، من خلال الْمُقارَنةِ بين أكثر من كتاب، ثم يقوم بعرض ما فَهِمَه من ذلك على الكتب التي تشكل تطبيقاً عملياً لنُقَّاد الحديث، وينبغي أن يكون ذلك على سبيل التدرُّج، كما سيُذكَر فيما يلي:

المرحلة الأولى: حفظُ المتون:

لقد نظَّم علماءُ الحديث متوناً كثيرةً في علم مصطلح الحديث ما بين المختصرة والطويلة[٢]، ولكن يكفي الطالبَ في هذه المرحلة، أن يَحفَظ "المنظومةَ البَيْقُوْنية في مصطلح الحديث" لعُمر بن محمد بن فَتُّوْح الدِّمَشْقِي البَيْقُوْني (ت١٠٨٠هـ)، والتي تشتمل على (٣٤) بيتٍ.

ومع حفظ متنِ هذه المنظومةِ لا بُدّ للطالب مِن فهمها واستيعابها، لأنَّهما المقصود بحفظه، ولأجل ذلك فلو استعان أثناء حفظ هذه المنظومة بأحد شُروحها لسَهَل عليه فهمُ أبياتها، لا سيما "شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث"[٣] للشيخ عبد الله سراج الحلبي (ت١٤٢٢هـ)، فهو مِن أسهل وأفضل الشروح لها.

---

[١] معجم المصطلحات الحديثية: للباحث، ص٣٧٦.

[٢] ومن أجلِّها: "ألفية الحديث" للحافظ العراقي (ت٨٠٦هـ)، والتي اتَّفق جميعُ علماء الحديث على جلالة قدرِها، وعِظَمِ نفعِها، فقد أقبل كثيرٌ منهم على شرحها والتعليقِ عليها كالحافظ السخاوي الذي شرحها في كتابٍ سَمَّاها: "فتح المغيث بشرح ألفية الحديث".

[٣] طُبع مراراً في مكتبة دار الفلاح في حلب في (٢١٨) صفحة.

المرحلة الثانية: قراءةُ كتاب ميسَّر:

إنْ لم يَسبق للطالب أن قرأ شيئاً في علوم الحديث، فيُستحسَن له أن يبدأ بقراءة كتابٍ أُلِّفَ فيه بلغةٍ سهلةٍ، وبأسلوبٍ مبسَّط، رُوعي فيه مستوى القارئ المبتدئ. والكتبُ المؤلَّفة على هذا النَّحْو كثيرة، وقد يكون معظمُها مفيداً له في هذه المرحلة، مثل: "تيسير مصطلح الحديث" للشيخ محمود الطحان، الذي يمتاز بحُسن ترتيبه للموضوعات، ودِقَّةِ تعريفاتِه، وجَوْدَةِ الاختصارِ، وابتعادِه عن الحشو وكثرةِ التعليقات واختلافِ الآراء.

المرحلة الثالثة: قراءة كتب العلماء القدامى:

ثم يتدرَّج الطالبُ على قراءة كتب العلماء القدامى في هذا العلم، بدءاً بـ"نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر" للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، وهي رسالةٌ مفيدةٌ له في هذه المرحلة، فيقرؤها مع شرحٍ ميسَّرٍ لها مثل "نزهة النظر" لابن حجر نفسه، أو مع شرحٍ آخر غيره؛ لأن في عباراتها بعض إغلاقٍ وغموضٍ، لذلك لا بُدَّ للطالب من حلِّه الاستعانة بأحد شروحها.

ثم يُطالِع أحدَ الكتب التالية:

١- إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق ﷺ: للإمام النَّوَوِي (ت٦٧٦هـ).

٢- أو "الْمُوْقِظَة في علم مصطلح الحديث" للحافظ الذَّهَبِيّ (ت٧٤٨هـ)، مع شرح الشيخ حاتم بن عارف العَوْني.

١- أو "الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير" للشيخ أحمد محمد شاكر (ت١٣٧٧هـ)[١].

٢- أو "الغاية في شرح الهداية في علم الرِّواية" للحافظ السَّخاوي (ت٩٠٢هـ).

وكلُّ كتابٍ من هذه الكتب الأربعة مفيدٌ ونافِعٌ للطالب في هذه المرحلة.

المرحلة الرابعة: قراءة الكتب الجامعة:

وبعد اجتياز الطالبِ المرحلةَ الثالثة في قراءة كتب علوم الحديث؛ تتكوَّن عنده – بإذن الله تعالى – ملكةٌ في فهم أساليب العلماء القُدامى في كتبهم، وفي حلِّ عباراتهم العِلمية في تلك الكتب، فيَحسُن له عندئذٍ أن يقرأ في هذه المرحلة كتاباً يكون أوسعَ علماً، وأرقى أسلوباً من كتب المرحلة السابقة، ولا يُوجَد هناك كتابٌ يَتّصِف بهذه الصفات غير "علوم الحديث" للحافظ ابن الصَّلاح (ت٦٤٣هـ)، الذي يُعرَف أيضاً بـ"مقدمة ابن الصلاح"، وهو كتابٌ عظيمٌ في علوم

[١] طُبع بتحقيق الشيخ علي بن حسن الحلبي الأثري في مكتبة المعارف بالرياض عام ١٤١٧هـ.

الحديث، ومن الكتب النهائية التي تُدرَّس في الدراسات العليا في أقسام الحديث في الجامعات.

وقد يَشُقّ على الطالب فهمُ بعض عباراتِ هذا الكتاب؛ فحينئذٍ يُمكِنه أن يَستعِين في حَلِّها واستيضاحها بشروحه المعتبَرة مثل: "التقييد والإيضاح" للحافظ العراقي (ت٨٠٦هـ) ، و"النُّكَت على كتاب ابن الصلاح" للحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ).

المرحلة الخامسة: مطالعة الكتب الموسَّعة:

وبعد انتهاء الطالبِ المرحلة الرابعة، فليَنتقِل إلى قراءة الكتب الموسَّعة في علوم الحديث، مثل:

١- تدريب الراوي في شرح تقريب النَّواوي: للحافظ السُّيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت٩١١هـ): وهو شرحٌ لـ"التقريب والتيسير" للإمام النَّوَوِي (ت٦٧٦هـ)، وهو كتابٌ عظيمُ النفع، وكثيرُ الفوائد، ويُعتَبر من أهمِّ كتب علوم الحديث. لقد أضاف فيه السيوطيُّ فوائدَ علميةً جَمّةً، وذكر كثيراً من أقوال علماء هذا الفنِّ وآراءهم بحيث يتعذَّر وجودها في كتاب آخر غيره.

٢- وفتح المغيث بشرح ألفية الحديث: للحافظ السَّخَاوي محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ): وهو شرحُ "ألفية الحديث" للحافظ العِراقي (ت٨٠٦هـ)، أفصح فيه السخاويُّ عباراتِ الألفية، وبيَّن الأحكامَ الحديثية التي تضمَّنتها الألفيةُ، وفسَّر أقوالَ المحدِّثين وآرائَهم، وبذلك يُعتَبر هذا الكتابُ من أوسعِ الكتب في علوم الحديث من حيث بسط المعلومات فيه، بل هو بمثابة موسوعةٍ في علوم الحديث، لأنّ ما من مسألةٍ من مسائل هذه العلوم إلاَّ وفيه شرحُها بالتفصيل والتوضيح.

المرحلة السادسة: مطالعة الكتب الموسَّعة للمتأخّرين والمعاصِرين:

وبعد إتمام الطالبِ قراءةَ كتبِ المرحلة الخامسة؛ فإنه يجِدُ نفسَه مُستغنِيةً لحدٍّ كبيرٍ عن قراءة المزيد من الكتب في هذا العلم، لكنه لو اعتنى بقراءة بعض كتب العلماء المتأخِّرين ثم المعاصرين فيه لتَمَّتْ له فائدةٌ عظيمةٌ، وإن كان الكثيرُ منها لا يشتمل على جديد في هذا العلم، لكنها تمتاز – بالنسبة لكتب المراحل السابقة – بجودة الترتيب، وحُسْن التبويب، وجمالِ العرض لبعض المادة العلمية لكتب القدامى، وكذلك تمتاز هذه الكتب بالتوسُّعِ في ذكر المعلومات والنُّكَت والفوائد في هذا العلم التي كانت متفرِّقةً في كتبهم.

ويمكن تقسيمُ كتبِ هذه المرحلة في قسمَين:

أولهما: الكتب التي لا تَخرُج كثيراً عن طابعِ قديمٍ في الأسلوب والعرض لكنها تتميَّز بالسَّعَة في عرض المواد العلمية، مثل:

١- ظفر الأماني بشرح مختصَر السيد الشريف الجرجاني في مصطلح الحديث: للشيخ عبد الحي اللَّكْنَوي (ت١٣٠٤هـ): الذي شرح فيه كتابَ "مختصر السيد الشريف الجرجاني" في مصطلح الحديث شرحاً وافياً، وتعرَّض لمباحث شائكة ومسائل مُعضِلة في علوم الحديث، وحَلَّها ووَضَّحها بالأمثلة الحيوية والأدلة الناطقة.

٢- وقواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث: للشيخ جمال الدين القاسمي (ت١٣٣٢هـ): الذي يتميَّز بكونه سهل العبارة، جامعاً لأهمِّ ما يحتاجه الطالب من المصطلحات، ووصفِ الدواوين من المسانيد الصِّحَاح والسُّنَن، وعرضِ أحسَنِ أقوال الحُفَّاظ ورجال الجرح والتعديل وعلماء أصول الفقه وغيرها، والتي قد لا يجدها الطالب في كتاب آخر بسهولةٍ.

٣- وتوجيه النظر إلى أصول الأثر: للعلامة طاهر الجزائري (ت١٣٣٨هـ): وهو كتابٌ ضخمٌ جامعٌ، أسَّسه مؤلِّفه على التزام تحقيق المباحث الاصطلاحية، والبُعْدِ بها عن المكرَّر والْمُعاد، وهو حافلٌ بالموضوعات الهامَّة على مستوى رفيعٍ مُتقَنٍ.

والثاني: الكتب التي تَتّسِم بطابعٍ حديثٍ في الأسلوب والعرض والتسهيل، مثل:

١- الوسيط في علوم ومصطلح الحديث: للدكتور محمد بن محمد أبي شَهْبَة (ت١٤٠٣هـ): وهو كتابٌ قيّمٌ كبيرُ النفع، أودعه المؤلِّفُ عُصارةَ مطالعتِه لكتب علوم الحديث، وخلاصةَ ما يُوجَد في متفرِّقات كتب هذا العلم، ثم عَرَض المادةَ العلمية مع حُسْن تبويبِها وتنسيقِها، مع جودة العبارة وطلاوتها، وجمال العرض والأسلوب.

٢- ومنهج النقد في علوم الحديث: للدكتور نور الدين عِتْر: وهو كتابٌ قيّمٌ ومفيدٌ، عرض فيه المؤلِّف تعاريفَ علوم الحديث في تبويب جديد، كما أنه يتميَّز بخصائص كثيرة مثل: حُسْن التقسيم والتفصيل لمباحث علوم الحديث، ودِقّةُ التحرير للأقوال والآراء التي كَثُرَتْ فيها الخلافاتُ.

٣- وتحرير علوم الحديث: للشيخ عبد الله بن يوسف الْجُدَيْع: بَنَى فيه المؤلِّفُ تحريرَ أصولِ هذا العِلم على طريق السَّلَف المتقدِّمين، مستفيداً من تحريرات المتأخِّرين، وعَدَل عن ابتكاراتهم في هذا العلم، وكلُّ ذلك في أسلوب علميٍّ قويٍّ ممتعٍ.

٤- وعلوم الحديث: أصيلها ومعاصرها: للدكتور محمد أبي الليث الخيرآبادي: من مزايا هذا

الكتاب أنه يتفرَّد بين الكتب السابقة بمباحث مفيدةٍ في علوم الحديث مثل: "تنسيق جديد لمكانة السنة التشريعية والمعرفية"، و"ترتيب مبتكر لحفظ السنة"، و"صياغة جديدة للأسباب المقصودة للوضع في الحديث"، و"الأسباب غير المقصودة للوضع في الحديث"، و"الأحاديث الصالحة للترقية وغير الصالحة لها"، و"عواضد صالحة لترقية الحديث الضعيف غير تعدُّد الطُّرق، وعواضد غير صالحة لها"، و"البُعْد الزماني والمكاني في السنة"، وغيرها من المباحث التي تخلو منها كتب السابقين.

وهذه الكتبُ التي ذكرتُها في علوم الحديث موزّعاً على تلك المراحل؛ فهي – في رأيي المتواضع – مِن أحسن ما أُلِّف فيها، وإنَّ قراءة تلك الكتبِ بالتّأنّي والاستيعاب؛ تُمَكِّن الطالبَ مِن هذا العلم، وتفتح له الآفاقَ في مجاله بإذن الله تعالى.

خاتمة البحث:

وهذا ما يَسَّر الله ﷻ لي في هذا البحث المتواضع من بيان بعض أهمّ ما ينبغي لطالب الحديث النبوي أن يتحلَّى به من الآدب، وراعيتُ فيها بعضَ ما تقتضي متطلّبات هذا العصر، فينبغي لكلٍّ من يَلتمِس هذا العلم المبارك أن يَلتزم بتلك الآداب الحسنة.

وأخيراً أرى أن أختتم هذا البحثَ بخلاصة ما جاء فيه، فأقول: إنَّ أوّل ما يُطالَب به طالِبُ هذا العلمِ الجليل: أن يتحلَّى بجميع تلك الآداب الشريفة والأخلاق الكريمة التي سَبَق بيانُها في المبحث الثاني من هذا البحث، ثم يَصُبَّ جُلَّ اهتمامِه بقراءة الحديث النبوي معرفةً وفهماً؛ لأنه إذا اقتصر منه على سماعه وكتابته أو حفظه فقط دُوْن التَّعَرُّفِ على فِقهه وفهمه، فيكون قد أتعَبَ نفسَه من غير طائلٍ، أو الحصول على أن يُعَدّ في أهل الحديث، بل عليه أن يَجمِع بين الرِّواية والدِّراية بحيث يَعرِف صحيحَه مِن حسنه من ضعيفه، وفقهه ومعانيه، ولغته وإعرابه، وما فيه من بلاغة وفصاحة، وأن يَعرِف أسماءَ رجاله، ومنازلهم من الجرح والتعديل، وكذا ناسخه ومنسوخه ومختلفه، ومشكله إلى غير ذلك[1].

ولتحقيق ذلك كلّه؛ يجب على الطالب أن يعتني ببعض الأمور اعتناءً جيداً، وهذه الأمورُ هي:

١) أن يكون مُتَمَكِّناً من "علم مصطلح الحديث"، ومُطَّلِعاً على ما أُلِّفَ فيه من الكتب قديماً وحديثاً.

٢) وأن يكون مُلِمّاً بمعرفة رجالِ الحديث وأحوالِهم جرحاً وتعديلاً، وكذلك بمعرفة مَن

[1] الوسيط في علوم ومصطلح الحديث: للدكتور محمد بن محمد أبي شهبة، ص١٩١.

يَجُوْزُ به الاحتجاجُ ومَن لا يَجُوْزُ.

٣) وأن يكون بصيراً بمناهج علماء الجرح والتعديل في حُكمهم على الرَّاوي من حيث توثيقهم وتضعيفهم له؛ لأنَّ منهم: المتشدِّد والمتساهِل والمعتدِل، فينبغي للطالب أن يَعلَم ذلك جيداً.

٤) وأن يُلِمَّ بـ"عِلم عِلَل الحديث" إلماماً جيداً ليَعرِف طريقةَ كشفِ العِلَل في الأحاديث.

٥) وأن يكون على درايةٍ جيدةٍ بـ"علم تخريج الحديث" ليَقدِر على تخريج الأحاديث ودراسةِ الأسانيد والحُكمِ عليها.

كما يَلزَم على الطالب أن يكون دائماً:

٦) كثيرَ الاستفادةِ من شُروح الحديثِ ليَستعِين بها على فهم الحديث على وجهٍ صحيحٍ حسبما فَهِمَه المحدِّثون وشرحوه.

٧) وواسِعَ الاطِّلاعِ على مصادر الحديث ومراجعه، وكذلك على مناهج مؤلِّفيها.

٨) ودائمَ التطلُّعِ إلى ما تُصدِره دُوَرُ النَّشْرِ من الكتب الجديدة والدراساتِ الجادَّةِ في القضايا الحديثية، والدفاع عن السُّنَة النبوية؛ وكذلك أن يكون مُتَتَبِّعاً لِمَا تُصدِره بعضُ دُوَر النشر ضِدَّ السُّنّة؛ ليكون – دوماً – على استعدادٍ تامٍّ للرَّدِّ على مَطاعِن وشُبُهات أعداء السُّنّة.

فإذا حقَّق الطالبُ هذه وتلك من الأمور، وجازَ كذلك تلك المراحلَ التي سبق الحديثُ عنها، مع تصحيح النِّيّةِ، مُخلِصاً، مُحتسِباً، مُتقرِّباً إلى الله، راجياً ثوابَه وتوفيقَه، مُتجرِّداً عن طلب الدُّنيا وتحقيق غرضٍ من الأغراض المادِّيّة كنَيْل الْجاهِ والشُّهْرةِ والتميُّزِ والافتخار، والاكتساب[1]؛ فينبغي أن يكون أَوْلَى اهتمامِه بتدريس هذا العلمِ وإفادتِه للآخرين، فإنَّ ذلك من أهمِّ فوائد طلبِ العلم الشرعي، وعلى وجه الخصوص طلب الحديث النبوي.

وكذلك إذا وَجَد الطالبُ نفسَه أهلاً للاشتغال بالتصنيف والتأليف، والإنتاج العلمي المفيد في هذا المجال المبارك، فلا يُحجِم عن ذلك، لِما له في ذلك من الفوائد الكثيرة والعوائد العظيمة، فإنَّ الاشتغال بالتصنيف والتأليف يُوسِّع أمامه من مجاله ما لم يكن بحُسبانه، كما أنه يستطيع أن يقدِّم في هذا المجال ما يتطلَّبه روحُ هذا العصرِ من دراساتٍ وأبحاثٍ مفيدةٍ، فإنَّ لكلِّ عصرٍ شأناً خاصّاً يحتاج إلى تجديدٍ في الأسلوب وفي الموضوعات والأفكار، فليَصرِف الطالبُ إذا تأهَّل لذلك "جُلَّ هَمِّه للشرح، وبيان الْمُشْكِل، ورَدِّ الشُّبَهِ الواردة عليه، ولا سيما

[1] وإنْ تحقَّق شيءٌ مِن ذلك من غير قصدٍ ونيةٍ.

في عصرنا هذا، فقد تَهَجَّم على الأحاديث والسُّنن بغير علمٍ مَن لا يكاد يَعرِف ما هو الحديثُ؟ وما هي السُّنّة، وتحقيق الروايات ونحو ذلك. ولا نكاد نجد شيئاً يُثبِت العلمَ، ويدعو إلى استذكاره، ومراجعةِ كُتُبه وأصوله، ويَقدَح زَنْدَ الفكرِ، ويَشحَذ الطبعَ، ويَبعَث الْهِمَمَ، ويَبسُط اللسانَ، ويُجيد البيانَ، ويَكشِف الْمُشْتَبِهَ، ويُوضِّح الْمُلتَبِسَ مثلُ: التأليفِ، وإنما يَعرِف ذلك مَن يُعاني صنعةَ التأليف"[١].

ولا شكَّ أنّ الذي طالت ممارستُه لهذا العِلم عن طريق التدريس أو التأليف؛ فليس من المستبعَد بَعْدَ أن يَصدُق عليه ما ذَكَره بعضُ علماء الحديث المعاصرين[٢] في حَدِّ "المحدِّث": أنه مَن تَحَمَّل الحديثَ روايةً، واعتنى به دراية بأن يَحفَظ المتونَ، ويكون عنده علمٌ بالرِّجال، وتَواريْخِهم وجَرْحِهم وتعديلِهم، وإذا كان هكذا "فيا بُشْرَى العالم الإسلامي، فقد وُلد له محدِّثٌ!!"[٣].

وآخرُ دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ الأَكْمَلانِ على خاتم الأنبياء وأشرف الْمُرسَلين: سيّدنا محمَّد وآله وأصحابه أجمعين، ومَن تَبِعَهم بإحسانٍ ودعا بدعوتهم إلى يوم الدِّين.

المصادر والمراجع:

١) **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**:: للإمام محمد بن حبان البُسْتِيّ، تحقيق: الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.

٢) **أدب الطلب ومنتهى الأرب**: للإمام محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: الأستاذ عبد الله يحيى السريحي، دار ابن حزم – بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٣) **الأدب المفرد**: للإمام البخاري أبي عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، تحقيق: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق – الجبيل، ط٥، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٤) **إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق ﷺ**: للإمام النووي محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف الدمشقي، تحقيق: الدكتور نور الدين عتر، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط٢، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٥) **الاعتصام**: للإمام الشاطبي أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، تحقيق: الأستاذ أبي عبيدة مشهور بن حسن آل

[١] العبارة بين القوسين من كلام الدكتور محمد بن محمد أبي شهبة في كتابه "الوسيط في علوم ومصطلح الحديث"، ص١٩٢.

[٢] أمثال الشيخ الدكتور محمد بن محمد أبي شهبة في كتابه "الوسيط في علوم ومصطلح الحديث"، ص١٨، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة في تعلقةٍ له على كتاب "مبادئ علم الحديث وأصوله" للشيخ شبير أحمد العثماني، ص٦٤، و الدكتور محمد أبي الليث الخيرآبادي في كتابه "علوم الحديث أصيلها ومعاصرها"، ص٣٢، ٣٣.

[٣] العبارة بين القوسين للشيخ حاتم بن عارف العوني، التي ختم بها رسالتَه "نصائح منهجية لطالب علم السنة النبوية"، ص٧٤.

سلمان، دار التوحيد – عريش، ط١، ١٤٢١هـ.

٦) **اقتضاء العلم العمل**: للحافظ الخطيب البغدادي أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت، تحقيق: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط٥، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٧) **الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع**: للقاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي المالكي، تحقيق: الأستاذ أحمد صقر، دار التراث – القاهرة، ط١، ١٣٧٩هـ/١٩٧٠م.

٨) **إلى طالب العلم**: لسيد عبد الماجد الغوري، معهد دراسات الحديث النبوي – سلانجور (ماليزيا)، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

٩) **أوجز المسالك إلى موطأ مالك**: للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، دار القلم – دمشق، ط٢، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

١٠) **الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير**: شرح العلامة أحمد محمد شاكر، تعليق: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، تحقيق: الشيخ علي بن حسن الحلبي الأثري، مكتبة المعارف – الرياض، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

١١) **بغية الملتمس**: للحافظ العلائي أبي سعيد صلاح الدين خليل بن كيكلدي، عالم الكتب – بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

١٢) **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**:للشيخ عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

١٣) **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**: للحافظ السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: الأستاذ أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة – الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١٤) **تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم**: للإمام ابن جماعة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله الكناني، تحقيق: محمد بن مهدي العجمي، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط٢، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

١٥) **تصحيفات المحدِّثين**: للعسكري أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد، تحقيق: الدكتور محمود أحمد ميرة، المطبعة العربية الحديثة – القاهرة، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

١٦) **التوقيف على مهمات التعاريف**: للشيخ عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: الدكتور عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب – القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

١٧) **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**: للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار الحديث – القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

١٨) **تيسير مصطلح الحديث**: للدكتور محمود الطحان، مكتبة المعارف – الرياض، ط١٠، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

١٩) **جامع الأصول من أحاديث الرسول ﷺ**: لإمام ابن الأثير الجزري، تحقيق: الشيخ محمد حامد الفقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٤، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٢٠) **جامع بيان العلم وفضله**: للإمام ابن عبد البر أبي عمرو يوسف القرطبي الأندلسي، تحقيق: الأستاذ أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي – الرياض، ط٨، ١٤٣٠هـ.

٢١) **الجامع الصحيح (صحيح البخاري)**: للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، دار السلام – الرياض، ط٢، ١٤٢١.

٢٢) **الجامع الصحيح (صحيح مسلم)**: للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القُشيري، دار السلام – الرياض، ط١، ع: ١٤١٩.

٢٣) **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**: للحافظ الخطيب البغدادي أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت، تحقيق: الدكتور محمود الطحان، مكتبة المعارف – الرياض، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٢٤) **الجرح والتعديل**: للإمام ابن أبي حاتم أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، دائرة المعارف العثمانية – حيدرآباد (الدكن)، ط١، ١٣٧٢هـ.

٢٥) **الجرح والتعديل**: للدكتور إبراهيم بن عبد الله اللاحم، مكتبة الرشد – الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢٦) **الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر**: للحافظ السخاوي محمد بن عبد الرحمن: تحقيق: الأستاذ إبراهيم باجس، دار ابن حزم – بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

٢٧) **حلية طالب العلم**: للشيخ بكر بن عبد الله أبي زيد، دار العاصمة – الرياض، ط٥، ١٤١٥هـ.

٢٨) **الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب**: لابن فرحون إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري، تحقيق: محمد الأحمدي

أبي النور، دار التراث للطبع والنشر – القاهرة، دون تاريخ.
٢٩) **الرحلة في طلب الحديث**: للحافظ الخطيب البغدادي أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت، تحقيق: الدكتور نور الدين عتر، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
٣٠) **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة**: للشيخ محمد بن جعفر الكتاني، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط٧، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م.
٣١) **الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة**: للإمام ابن قيم الجوزية شمس الدين محمد بن أبي بكر الدمشقي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
٣٢) **سنن أبي داود**: للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، دار السلام – الرياض، ط١، ١٤٢٠ هـ.
٣٣) **سنن ابن ماجه**: للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد الرَّبْعي ابن ماجه القزويني، دار السلام – الرياض، ط١، ١٤٢٠ هـ.
٣٤) **سنن الترمذي**: للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، دار السلام – الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.
٣٥) **سنن الدارمي**: للإمام أبي محمد عبد الله الدَّرامي السمرقندي، تحقيق: الدكتور مصطفى ديب البغا، دار القلم – دمشق، ط٢، ١٤١٧ هـ.
٣٦) **سنن النَّسائي**: للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النَّسَائي، دار السلام – الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.
٣٧) **سير أعلام النبلاء**: للحافظ الذهبي، تحقيق: الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
٣٨) **شرف أصحاب الحديث**: للخطيب البغدادي أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت، تحقيق: الأستاذ محمد سعيد خطيب أوغلو، كلية الإلهيات – أنقرة (تركيا)، ط١، ١٩٧١م.
٣٩) **الضوء الامع لأهل القرن التاسع**: للحافظ السخاوي محمد بن عبد الرحمن، دار الجيل – بيروت، ط١، ١٤٢١هـ
٤٠) **علوم الحديث**: للحافظ ابن الصلاح أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، تحقيق: الدكتور نور الدين عتر، دار الفكر – دمشق، ط٣، ١٩٩٨م.
٤١) **علوم الحديث أصيلها ومعاصرها**: للدكتور محمد أبي الليث الخيرآبادي، دار الشاكر – كوالالمبور، ط٧، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
٤٢) **قيمة الزمن عند العلماء**: للشيخ عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط١٣، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
٤٣) **قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث**: للشيخ جمال الدين القاسمي، تحقيق: الشيخ محمد بهجة البيطار، دار النفائس – بيروت، ط٤، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
٤٤) **كتاب التعريفات**: للعلامة الجرجاني علي بن محمد الشريف، تحقيق: الأستاذ إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٤، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
٤٥) **الكفاية في علم الرواية**: للحافظ الخطيب البغدادي أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت، مكتبة النمنكاني – المدينة المنورة، دون تاريخ.
٤٦) **الكليات**: لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
٤٧) **لسان العرب**: لابن منظور محمد بن مكرم المصري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
٤٨) **لسان الميزان**: للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
٤٩) **مبادئ علم الحديث وأصوله**: للشيخ شبير أحمد العثماني، تحقيق: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
٥٠) **المجموع شرح المهذب**: للإمام النووي محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف الدمشقي، دار الفكر – بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
٥١) **مجموع الفتاوى**: لشيخ الإسلام ابن تيمية الحراني، مجمع الملك فهد – المدينة المنورة، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
٥٢) **المجموعة العلمية**: للشيخ بكر بن عبد الله أبي زيد، دار العاصمة – الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.
٥٣) **مختار الصحاح**: لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار البشائر – دمشق، ط١، ١٤١٧هـ

٥٤) **المدخل إلى دراسات الحديث النبوي الشريف**: للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي، دار ابن كثير – دمشق، ط١، ١٤٢٣ هـ.

٥٥) **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلّق بالكتاب العزيز**: لأبي شامة شهاب الدين أبي القاسم المقدسي، تحقيق: طيار قولاج، دار صادر – بيروت، ط١، ١٣٩٥هـ.

٥٦) **المستدرك على الصحيحين**: للإمام الحاكم النيسابوري أبي عبد الله محمد بن عبد الله، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٤، ٢٠٠٩م.

٥٧) **المسند**: للإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشَّيْبَاني، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط ١، ١٤١١هـ.

٥٨) **المسند**: للإمام عبد الله بن الزبير الحميدي، تحقيق: الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، المكتبة السلفية – المدينة المنورة.

٥٩) **مصادر الحديث ومراجعه دراسة وتعريف**: لسيد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير – دمشق، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

٦٠) **معجم المصطلحات الحديثية**: لسيد عبد الماجد الغوري، معهد دراسات الحديث النبوي ودار الشاكر – سلانجور (ماليزيا)، ط٢، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

٦١) **معرفة أنواع علم الحديث**: للحاكم النيسابوري أبي عبد الله محمد بن عبد الله، تحقيق: الدكتور سيد معظم حسين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٦٢) **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**: للحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٦٣) **مقدمة ابن خلدون**: لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، تحقيق: الدكتور علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر – بيروت، ط٣. ١٩٨١م.

٦٤) **من أدب المحدِّثين في التربية والتعليم**: للدكتور أحمد محمد نور سيف، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث – دبي (الإمارات العربية المتحدة)، ط٢، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٦٥) **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج**: للإمام النووي أبي زكريا يحي بن شرف الدمشقي، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا، ن: دار المعرفة – بيروت، ط ١٥، ١٤٢٩هـ.

٦٦) **منهج النقد في علوم الحديث**: للدكتور نور الدين عتر، دار الفكر – دمشق، ط ٣، ١٤١٨هـ.

٦٧) **الموافقات**: للإمام الشاطبي أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، تحقيق: الأستاذ أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان – الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٦٨) **الموجز في مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم**: للدكتور محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

٦٩) **موسوعة علوم الحديث الشريف**: إعداد مجموع من الباحثين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٧٠) **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**: للشيخ محمد علي التهانوي، مكتبة لبنان – بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٧١) **نزهة المتقين شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين**: للدكتور مصطفى سعيد الخن وآخرين، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢٦، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٧٢) **نصائح منهجية لطالب علم السنة النبوية**: للشيخ حاتم بن عارف العوني، دار عالم الفوائد – مكة المكرمة، ط١، ١٤١٨هـ.

٧٣) **النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى**: للأستاذ المكي أقلاّيَنة، (المطبوع في سلسلة كتاب الأمة، رقم: ٣٤)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – دولة القطر، ط١، ١٤١٣هـ.

٧٤) **الوسيط في علوم ومصطلح الحديث**: للدكتور محمد بن محمد أبي شهبة، مكتبة السنة – القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٧٥) **وفيات الأعيان**: لابن خلكان أحمد بن محمد البرمكي، دار الصادر – بيروت، ط١، ١٩٩٠م.